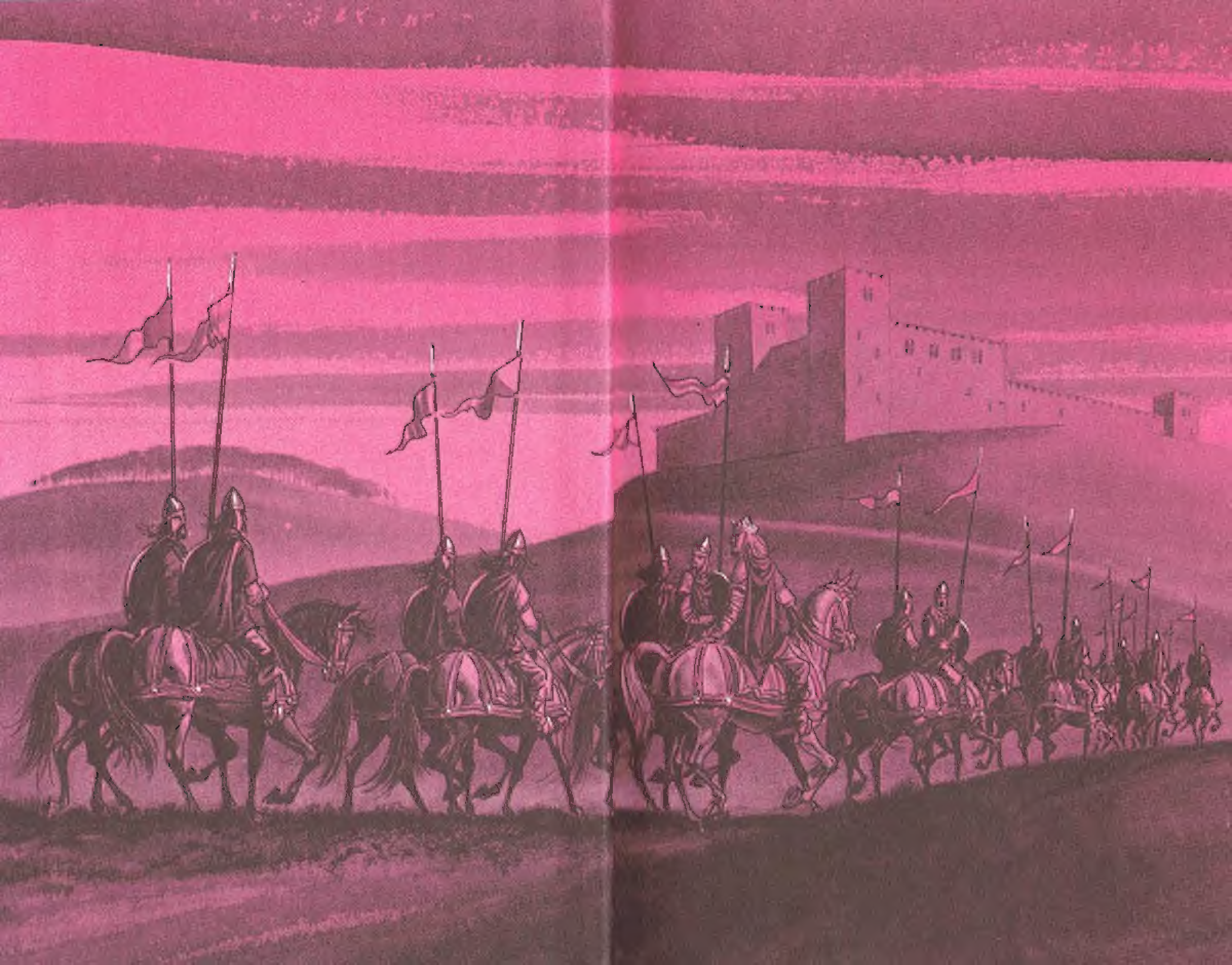
حكايات الفرسان

فَارِسُ الصَّقرِ الذَّهَبيُّ





يتحوّلُ العديدُ مِنَ الرِّجالِ إلى أبطالٍ أُسطوريّينَ تُحاكُ مِنْ حولِهِم الأخبارُ الخارِقةُ ، وتُروى الحِكاياتُ والأعاجيبُ . مِنْ هؤلاءِ المَلِكُ آرثر وما يُروى عَنْ سَيْفِهِ العَجيبِ وفُرسانِهِ ومائدةِ الفُرسانِ المُستديرةِ . وأمّا الأساسُ التاريخيُّ لِهٰذِهِ الحِكاياتِ فَهُوَ أنَّ أحدَ الفُرسانِ الإنكليز قادَ بَعْدَ خُروجِ الرُّومانِ مِنْ بريطانية فريقاً مِنْ رجالِهِ ضِدَّ الغُزاةِ مِنَ السَّكسون ، فنُسِجَتْ حَوْلَ بُطولاتِهِ الأساطيرُ .

ومَعَ أنَّ هٰذِهِ البُطولاتِ ذاتُ صِبغةٍ خياليَّةٍ ، فَهِيَ تُمثِّلُ في مَجموعِها المُثُلَ العُليا الَّتي يُؤمِنُ بِها النّاسُ بِعامَّةٍ . ولا شَكَّ أنَّ بَيْنَ المُثُلِ الَّتي نَراها هُنا ، وبَيْنَ مُثُلِ الفُروسيَّةِ العَربيَّةِ شَبَهاً كبيراً . فها هُنا الفُرسانُ ، أيضاً ، يَنصُرونَ الضَّعيفَ . ويَحمونَ المَرأةَ ، ويَذودونَ عَنِ الحِياضِ ، ويَلتزمونَ كَلِمَةَ الشَّرفِ ولا يَغدُرونَ بالخَصْمِ ، ويَحفَظونَ الصَّداقةَ والوَفاءَ ، ويَتمسَّكونَ بالحُبِّ النَّبيلِ الشَّريفِ الَّذي تَهونُ في سَبيلِهِ التَّضحياتُ .

وجاءَتْ حِكاياتُ الفُرسانِ هٰذِهِ بأُسلوبٍ قَصَصيٍّ رائعٍ يَجمعُ بَيْنَ التَّشويقِ وفَصاحةِ التَّعبيرِ وبَساطَتِهِ ، مِمّا يَزيدُ مِنْ أثَرِها في نُفوسِ الصِّغارِ والكِبارِ على السَّواءِ . وهِيَ إلى ذٰلِكَ تُوسِّعُ مِنْ آفاقِنا بالتَّعرُّفِ إلى أخلاقِ الشُّعوبِ وعاداتِها وطَبيعةِ حَياتِها .

طبع في انكلترا

فارسُ الصَّقرِ الذَّهبيّ

تأليف : دِزمُند دَنكرلي
رسوم : روبرت آيتون
نقله الى العربيّة : الدكتور ألبير مطلق



الناشرون:
مكتبة لبنان
بيروت
ليديبرد بوك ليمتد
لافبورو
لونغمان
هارلو

فارسُ ٱلصَّقْرِ ٱلذَّهَبِيِّ

كانَ ٱلشِّتاءُ بارِدًا وقاسِيًا . وَكانَتْ قِلَّةٌ مِنْ أَهْلِ بَلاطِ ٱلمَلِكِ آرْثر قَدْ هَجَرَتْ بَلْدَةَ كامِلوت طَوالَ ٱلشُّهورِ ٱلقاتِمَةِ ٱلمُكْفَهِرَّةِ . أَمَّا وَقَدْ عادَ ٱلرَّبيعُ بَعْدَ طولِ ٱنْتِظارٍ فَقَدْ عادَتِ ٱلرَّغْبَةُ في ٱلنَّشاطِ وَٱلمُغامَراتِ . وَحالَما ٱخْتَفَتْ آثارُ ٱلثُّلوجِ بَعَثَ ٱلمَلِكُ رُسُلَهُ إلى شَتَّى ٱلأَنْحاءِ يَسْتَقْصونَ أَنْباءَ ٱلمَمْلَكَةِ . فَقَدْ كانَ يَعْرِفُ أَنَّ تَحَسُّنَ ٱلأَحْوالِ ٱلجَوِّيَّةِ سَيَسْمَحُ بِأَنْ يُجَدِّدَ ٱلقَراصِنَةُ ٱلسَّكْسون غَزَواتِ سُفُنِهِمِ ٱلطَّويلَةِ ٱلَّتي كانَتْ حَتَّى ٱلآنَ ، مُحاصَرَةً بِٱلجَليدِ في مَوانِئِهِمِ ٱلشَّمالِيَّةِ .

وَعادَ ٱلرُّسُلُ يُنْبِئونَ بِهُدوءِ ٱلأَحْوالِ في ٱلبِلادِ . فَجَمَعَ ٱلمَلِكُ مَجْلِسَهُ وَخاطَبَهُ قائِلًا : « لِنَسْتَغِلَّ ، إذًا ، زَمانَ ٱلهُدوءِ هٰذا . غَدًا نَمْضي إلى ٱلغابَةِ نَصْطادُ ٱلأَيائِلَ وَنُنَشِّطُ أَنْفُسَنا وَنُمَرِّنُ جِيادَنا . وَهٰكَذا لا تَكونُ عَضَلاتُنا ، إذا ما آنَ أَوانُ صَيْدِ ذِئْبِ ٱلبَحْرِ ، مُتَصَلِّبَةً عاجِزَةً » .

وَفي فَجْرِ ٱليَوْمِ ٱلتَّالي ٱنْطَلَقَ ٱلمَلِكُ آرْثر وَجَمْعٌ مِنَ ٱلصَّيَّادينَ قاصِدينَ ٱلغاباتِ ٱلواقِعَةَ وَراءَ نَهْرِ أوسْك . وَشَعَرَتِ ٱلمَلِكَةُ جِنيفَر بَعْدَ رَحيلِهِمْ أَنَّها ، هِيَ ٱلأُخْرى ، تَتَشَوَّقُ إلى ٱلهَواءِ ٱلنَّقِيِّ وَدِفْءِ ٱلشَّمْسِ . فَتَوَجَّهَتْ بِرِفْقَةِ سَيِّدَةٍ واحِدَةٍ مِنْ وَصيفاتِها إلى قِمَّةِ تَلَّةٍ تُشْرِفُ عَلى ٱلنَّهْرِ .



قالَتِ ٱلمَلِكَةُ : « نَنْتَظِرُ هُنا وَنُراقِبُ ٱلصَّيْدَ ، فَهٰذِهِ ٱلبُقْعَةُ دافِئَةٌ وَتُشْرِفُ عَلى مِساحاتٍ شاسِعَةٍ . »

وَسَمِعَتِ ٱلمَرْأَتانِ ، فَجْأَةً ، وَقْعَ حَوافِرِ جَوادٍ ، فَٱلْتَفَتَتا فَإذا خَيَّالٌ شابٌّ طَويلٌ يَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ ٱلأَشْجارِ وَيَتَّجِهُ نَحْوَهُما . وَلَمْ يَكُنِ ٱلخَيَّالُ مُدَرَّعًا بِٱلحَديدِ ، لا وَلا يَلْبَسُ ثِيابَ ٱلصَّيْدِ . كانَ في ثِيابِ أَهْلِ ٱلبَلاطِ وَلا يَحْمِلُ مِنَ ٱلسِّلاحِ غَيْرَ سَيْفٍ خَفيفٍ ذي مَقْبِضٍ ذَهَبِيٍّ .

إنحنى ٱلخيّالُ أَمامَ ٱلمَلِكَةِ جنيڤر، فَحَيَّتْهُ ٱلمَلِكَةُ بِبَهْجَةٍ وَقالَتْ : « أَهْلًا بِكَ يا سير جيرين ، وَلٰكِنْ لِمَ لَسْتَ مَعَ ٱلمَلِكِ في صَيْدِهِ ؟ »

فَأَجابَ ٱلفارِسُ ٱلشّابُّ : « كانَ ٱلمَلِكُ قَدِ ٱرْتَحَلَ عِنْدَما عَلِمْتُ بِأَمْرِ رِحْلَةِ ٱلصَّيْدِ ، وَلَمّا قيلَ لي بِأَنَّكِ خَرَجْتِ بِغَيْرِ حِمايَةٍ جِئْتُ عارِضًا حِمايَتي . »

فَرَدَّتِ ٱلمَلِكَةُ قائلةً : « نُرَحِّبُ بِحِمايَتِكَ وَبِصُحْبَتِكَ . اُنْظُرْ . فَعمّا قَريبٍ يَمُرُّ رَكْبُ ٱلصَّيْدِ مِنْ أَسْفَلُ . »

وَبَيْنَما وَقَفَ ثَلاثَتُهُمْ يَتَحَدَّثونَ سَمِعوا قَعْقَعَةَ حَديدٍ وَصَوْتَ حَوافِرِ جِيادٍ . فَٱلْتَفَتوا فَرَأَوْا أَمامَهُمْ فارِسًا في ثِيابِ ٱلحَرْبِ يَرْكَبُ جَوادًا ضَخْمًا وَمِنْ وَرائِهِ سَيِّدَةٌ فاخِرَةُ ٱلثِّيابِ تَرْكَبُ فَرَسًا أَبْيَضَ ذَهَبِيَّ ٱلعُدَّةِ وَفِضِّيَّها ، وَمِنْ وَرائِها قَزَمٌ قَميءٌ شَرِسٌ مُلْتَحٍ . وقد حَمَلَ ٱلقَزَمُ دِرْعَ ٱلفارِسِ وَرُمْحَهُ : ٱلدِّرْعُ مُعَلَّقَةٌ على ظَهْرِهِ وَٱلرُّمْحُ في يُسْراه ، وأَمّا في يُمْناهُ فقد حَمَلَ سَوْطًا ذا عُقَدٍ . وَقَطَعَ ٱلثَّلاثَةُ ٱلطَّريقَ دونَ أَنْ يَلْتَفِتوا يَمينًا أو شِمالًا .





سَأَلَتِ ٱلْمَلِكَةُ : « مَنْ هُوَ ذٰلِكَ ٱلفارِسُ ٱلْمُتَحَفِّزُ لِلْقِتالِ ؟ »

فَأَجابَ جيرين : « لا أَعْلَمُ ، يا سَيِّدَتي ، فَقَدْ غَطَّتِ ٱلخوذَةُ وَجْهَهُ ، وَخَفِيَ عَنِّي شِعارُ دِرْعِهِ . وَلٰكِنِّي سَأَسْأَلُ تابِعَهُ . » وَتَوَجَّهَ جيرين إلى ٱلقَزَمِ ، وَقالَ : « تَوَدُّ ٱلْمَلِكَةُ أَنْ تَعْرِفَ اسْمَ سَيِّدِكَ . »

فَرَدَّ ٱلقَزَمُ بِوَقاحَةٍ قائِلًا : « لَنْ أُجيبَكَ . »

فَقالَ جيرين : « إذَنْ أَسْأَلُهُ بِنَفْسي . »

فَرَدَّ ٱلرَّجُلُ ٱلقَميءُ ٱلشَّرِسُ قائلًا : « لَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ ، فَلَسْتَ مِنَ ٱلنُّبْلِ بِحَيْثُ تُكَلِّمُهُ . » وما إن لوى جيرين عِنانَ جَوادِهِ حَتّى لَطَمَهُ ٱلقَزَمُ بِٱلسَّوْطِ ذي ٱلعُقَدِ فَأَصابَ فَمَهُ .

شَرَعَ جيرين يَسْتَلُّ سَيْفَهُ ، وَلٰكِنَّهُ سُرْعانَ ما أَدْرَكَ أَنَّهُ إذا قَتَلَ ٱلقَزَمَ فَسَيُهاجِمُهُ عَلى ٱلفَوْرِ سَيِّدُهُ ٱلفارِسُ ٱلَّذي كانَ قَدْ تَوَقَّفَ لَدى سَماعِهِ أَصْواتَ ٱلجَدَلِ . وَلَمّا لَمْ يَكُنْ جيرين يَحْمِلُ غَيْرَ سَيْفِهِ فَلَنْ يَكونَ ٱلقِتالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ مُتَكافِئًا، فَرَدَّ ٱلسَّيْفَ إلى غِمْدِهِ وَعادَ إلى ٱلمَلِكَةِ .

قالَتِ ٱلمَلِكَةُ بِرِقَّةٍ : « يُؤْسِفُني أَنْ أَتَسَبَّبَ لَكَ بِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلإهانَةِ . » وَبَدا وَجْهُ جيرين هادِئًا أَمّا عَيْناهُ فَكانَتا غاضِبَتَيْنِ فيما انْحَنى أَمامَ ٱلمَلِكَةِ وَقالَ بِهُدوءٍ :

« سَأَنْتَقِمُ لِهٰذِهِ ٱلإهانَةِ ، يا جَلالَةَ ٱلمَلِكَةِ . وَلِذا فإني أَسْتَأْذِنُكِ في مُلاحَقَةِ هٰذين إلى أَنْ يَتَوافَرَ لي سِلاحٌ وَبِزَّةُ زَرَدٍ . وَسَآتيكِ ، عِنْدَها ، بِٱسْمِ ذٰلِكَ ٱلفارِسِ ٱلمُتَعَجْرِفِ . »

فَقالَتِ ٱلمَلِكَةُ : « سَنَنْتَظِرُ بِلَهْفَةٍ خَبَرَ أَنَّكَ فَعَلْتَ ذٰلِكَ ، وَأَنَّكَ عُدْتَ سالِمًا . وَلْيَكُنِ ٱللهُ مَعَكَ . »

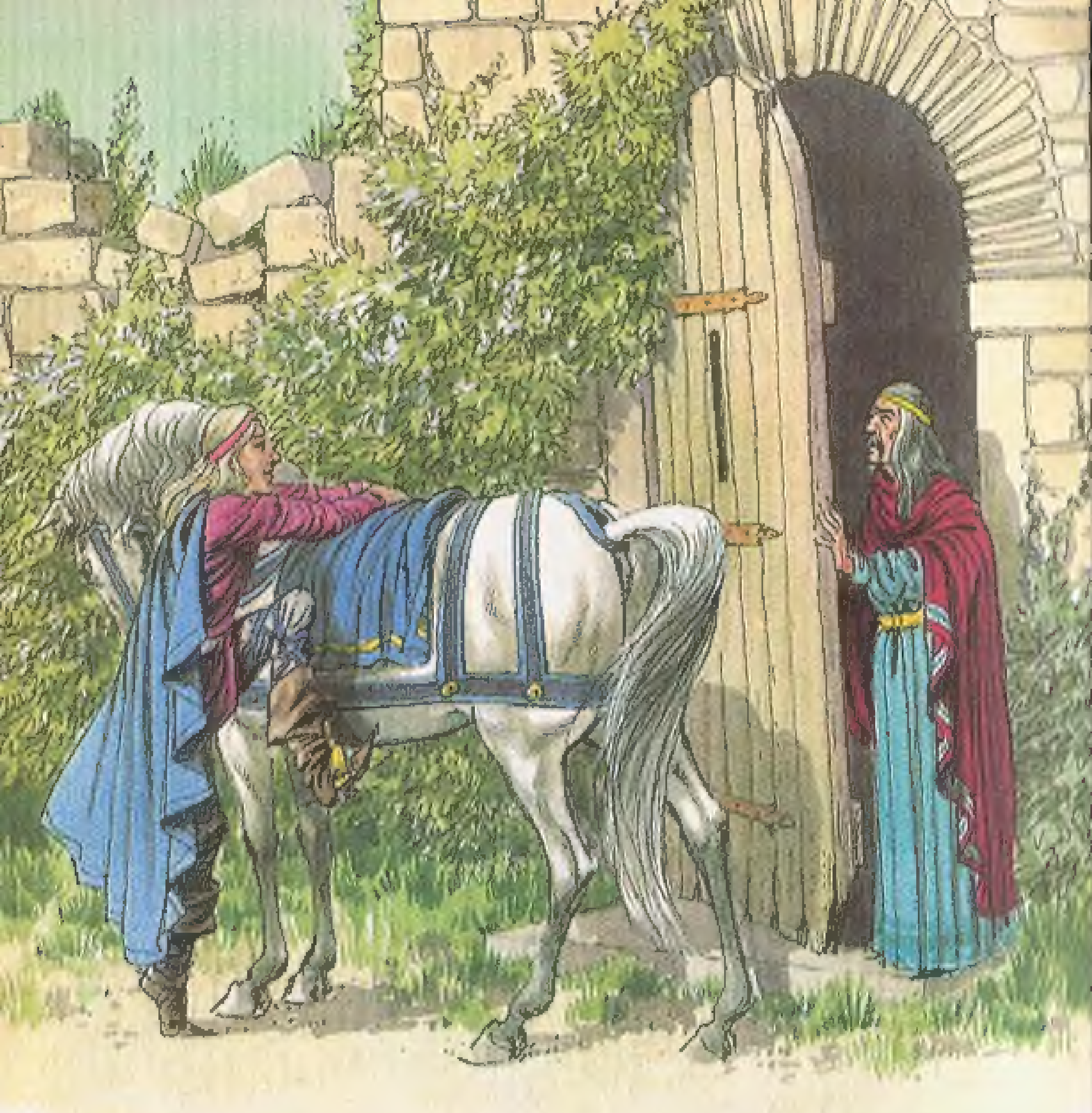
وَلاحَقَ جيرين خِفْيَةً الفارسَ ٱلمَجْهولَ وَٱلسَّيِّدَةَ وَٱلقَزَمَ طوالَ ذٰلِكَ ٱلنَّهارِ.

وَعِنْدَ ٱلغِيابِ دَخَلَ ٱلفارِسُ وَمَنْ مَعَهُ بَلْدَةً صَغيرَةً تُجاوِرُ قَلْعَةً ذاتَ جُدْرانٍ قاتِمَةٍ كَئيبَةٍ. وَكانَ ٱلنّاسُ عَلى جانِبَي ٱلطَّريقِ يَنْحَنونَ أَمامَ ٱلفارِسِ ٱلمُتَكَبِّرِ بِٱحْتِرامٍ عَظيمٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرُدُّ تَحِيّاتِهِمْ حَتّى وَلا بِٱلْتِفاتَةٍ مِنْهُ يَمْنَةً أَو يَسْرَةً.

وَحالَما رَأى جيرين ٱلرَّكْبَ يَدْخُلونَ ٱلقَلْعَةَ دُخولَ ساكِنيها ٱنْطَلَقَ يَبْحَثُ عَمَّنْ يُؤْويهِ وَيُعيرُهُ سِلاحًا وَبِزَّةَ زَرَدٍ. غير أنه لم يتبيّن وجهًا واحِدًا يَعْرِفُهُ مِنْ بَيْنِ وُجوهِ ٱلفُرْسانِ وَٱلسّادَةِ ٱلَّذينَ كانوا يَمْلَؤونَ ٱلشَّوارِعَ ٱلضَّيِّقَةَ، فيما انهمك أتباعهم في تلميع بِزّات الزّرد وسنّ السّيوف ورؤوس الرّماح.

اجْتازَ جيرين ٱلمَدينَةَ وَعَبَرَ ٱلسّاقِيَةَ ٱلمُحاذِيَةَ لِلسّورِ ٱلخارِجِيِّ، فَإِذا بِهِ أَمامَ نُزُلٍ قَديمٍ تَداعَتْ جُدْرانُهُ وَٱرْتَفَعَتِ ٱلأَعْشابُ وَٱلحَشائِشُ في ساحَتِهِ.

وَتَراءى لِجيرين أَنَّ ٱلنُّزُلَ مَهْجورٌ فَتَهَيَّأَ لِلْبَحْثِ عَنْ مَكانٍ غَيْرِهِ، ولكِنْ، في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ، بَرَزَ عَجوزٌ يَلْبَسُ ثِيابًا عَتيقَةً، دَلَّتْ، مَعَ ذٰلِكَ، عَلى تَرَفٍ وَغِنًى قَديمَيْنِ.



قالَ ٱلعَجوزُ: «هَلْ مِنْ سَبيلٍ أَخْدُمُكَ فيهِ يا سَيِّدي ٱلشّابَّ؟»

فَرَدَّ جيرين قائِلًا: «أَبْحَثُ عَنْ مَكانٍ أَبيتُ فيهِ بَعْدَ رِحْلَةٍ طَويلَةٍ، يا سَيِّدي.»

فَقالَ ٱلعَجوزُ: «مَرْحَبًا بِكَ هُنا. صَحيحٌ أَنَّنا لا نَمْلِكُ ٱلكَثيرَ، غَيْرَ أَنَّنا سَنَتَقاسَمُ مَعَكَ ما عِنْدَنا.»

وَقادَ ٱلعَجوزُ جيرين إلى داخِلِ ٱلنُّزُلِ حَيْثُ كانَتْ تَجْلِسُ امْرَأَةٌ مُسِنَّةٌ. وَكانَتْ ثِيابُ ٱلْمَرْأَةِ، كَذٰلِكَ، عَتيقَةً رَثَّةً وَإِنْ بَدا أَنَّها كانَتْ فيما مَضى ثِيابًا فاخِرَةً.

وَقالَتِ ٱلعَجوزُ: «تَناوَلْ مَعَنا، يا سَيِّدي، ٱلطَّعامَ ٱلَّذي تُعِدُّهُ ٱبْنَتي أَنيد.» وَفيما هِيَ تَقولُ ذٰلِكَ دَخَلَتِ ٱلقاعَةَ صَبِيَّةٌ تَحْمِلُ صينِيَّةً عَلَيْها خُبْزٌ وَلَحْمٌ.

وَبدا للسِّير جيرين أَنَّ هٰذِهِ ٱلصَّبِيَّةَ ٱلشّاحِبَةَ ٱلوَجْهِ ٱلرَّثَّةَ ٱلثِّيابِ هِيَ أَجْمَلُ فَتاةٍ وَقَعَتْ عَلَيْها عَيْناهُ.



وَبَعْدَ ٱلعشاءِ ٱسْتَفْسَرَ جيرين عَمَّنْ يَكونُ صاحِبَ ٱلنُّزُلِ.

فَقالَ ٱلعَجوزُ بِصَوْتٍ حَزينٍ: «إِنَّهُ نُزُلي. وَكَذٰلِكَ كانَتِ ٱلقَلْعَةُ ٱلقَريبَةُ، وَٱلأَراضي ٱلمجاوِرَةُ، كُلُّها كانَتْ لي.»

فَسَأَلَ جيرين في دَهْشَةٍ عَظيمَةٍ: «فَكَيْفَ، إِذًا، فَقَدْتَ كُلَّ ذٰلِكَ؟»

تَكَلَّمَ ٱلعَجوزُ بِتَمَهُّلٍ قائلًا: «إِنَّهُ ٱلجَشَعُ. فَأَنا ٱلشَّريفُ لِكونيل. وَلٰكِنَّني شَريفٌ ٱسْمًا وَلَيْسَ فِعْلًا. فَإِنَّ لي ٱبْنَ أَخٍ عُنيتُ بِتَرْبِيَتِهِ صَغيرًا بَعْدَ مَوْتِ أَبيهِ. وَكانَ عَلَيَّ إِدارَةُ أَمْلاكِهِ إِلى أَنْ يَبْلُغَ سِنَّ ٱلرُّشْدِ. غير أَنِّي استوليت على أَمْلاكِهِ وَضَمَمْتُها إِلى أَمْلاكي. وَحينَ كَبُرَ ٱبْنُ أَخي طالَبَ بِإِعادَةِ أَرْضِهِ إِلَيْهِ فَرَفَضْتُ جَشَعًا وَغَباءً.»

فَقالَ جيرين: «فَكان أَنْ أَخَذَ ٱبْنُ أَخيكَ مِنْكَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَمْ يَتْرُكْ لَكَ إِلّا هٰذا ٱلنُّزُلَ.» فَهَزَّ ٱلعَجوزُ رَأْسَهُ وَتَنَهَّدَ.

صَمَتَ جيرين لَحْظَةً، ثُمَّ قالَ: «لَمّا كُنْتَ نادِمًا على فِعْلَتِكَ فَسَأَبْذُلُ جُهْدي لِأَرُدَّ إِلَيْكَ ما خَسِرْتَ. وَلٰكِنْ قُلْ لي: مَنْ يَكونُ ذٰلِكَ ٱلفارِسُ ٱلْمُتَكَبِّرُ، وَتِلْكَ ٱلمَرْأَةُ ٱلَّتي تُرافِقُهُ، وَٱلتّابِعُ ٱلقَزَمُ؟ وَلِمَ كانَ صانعو ٱلأَسْلِحَةِ وَٱلدُّروعِ مُنْهَمِكينَ هٰذا ٱلانْهِماكَ في شَوارِعِ ٱلبَلْدَةِ؟»

فَقالَ ٱلشَّريفُ ٱلعجوزُ : « إِنَّهُمْ يُعِدّونَ لِدَوْرَةِ ٱلْمُبارَزَةِ غَدًا . وَسَيَكونُ مِنْ نَصيبِ ٱلفائِزِ صَقْرٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلخالِصِ . وَٱلفارِسُ ٱلَّذي ذَكَرْتَ فازَ في دَوْرَتَي ٱلعامَيْنِ ٱلماضِيَيْنِ ، فإِذا فازَ لِلْمَرَّةِ ٱلثّالِثَةِ غَدًا فَسَيُصْبِحُ ٱلصَّقْرُ ٱلذَّهَبِيُّ مُلْكَهُ ، وَهُوَ يأْتينا كُلَّ عامٍ فَيُقيمُ في ٱلقَلْعَةِ مَعَ ٱبْنِ أَخي ٱلشَّريفِ ٱلشّابِّ . وَٱبْنُ أَخي لا يُطيقُهُ وَلٰكِنَّهُ لا يَجْسُرُ عَلى إِبْعادِهِ . »

قالَ جيرين : « وأنا أَيْضًا لا أُطيقُ هٰذا ٱلفارِسَ ٱلْمُتَكَبِّرَ . وَإِنَّ لي مَعَهُ حِسابًا لا بُدَّ مِنْ تَسْوِيَتِهِ ، فَقَدْ أَهانَ تابِعُهُ ٱلقَزَمُ مَليكَتي ، وَلَوْ كانَ مَعي سِلاحٌ وَبِزَّةُ زَرَدٍ لَنازَلْتُهُ غَدًا . »

فَقالَ ٱلشَّريفُ لِكونيل : « عِنْدي بِزَّةُ زَرَدٍ أُقَدِّمُها لَكَ راضِيًا ، غَيْرَ أَنَّكَ تَحْتاجُ في دَوْرَةِ يَوْمِ غَدٍ إِلى أَمْرٍ آخَرَ . فَلا يَحِقُّ لِفارِسٍ أَنْ يَتَحَدّى مُنافِسيهِ لِلْحُصولِ عَلى ٱلصَّقْرِ ٱلتَّذْكارِيِّ إِلّا إِذا ٱصْطَحَبَ مَعَهُ إِلى مَيْدانِ ٱلنِّزالِ سَيِّدَةً يُقاتِلُ بِٱسْمِها . »

فَرَدَّ جيرين قائِلاً : « فَٱسْمَحْ لي يا سَيِّدي ، إِذًا ، أَنْ أَصْطَحِبَ ٱبْنَتَكَ غَدًا ، إِذا كانَتْ تُوافِقُ عَلى ذٰلِكَ ، وَأَنْ أَتَحَدّى ٱلفُرْسانَ بِٱسْمِها . »

وافَقَ ٱلشَّريفُ في ٱلحالِ عَلى طَلَبِ جيرين ، في حينَ تَوَرَّدَ وَجْهُ ٱلصَّبِيَّةِ وَهِيَ تَهُزُّ رَأْسَها بِرِفْقٍ دَليلَ ٱلرِّضى ، فَإِنَّها هِيَ ٱلأُخْرى لَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْ فارِسًا أَنْبَلَ مِنْهُ وَلا أَبْهى .



كانَ صَباحُ ٱليَوْمِ ٱلتّالي صافِيًا مُشْرِقًا ، ٱنْعَكَسَتْ فيهِ شَمْسُ ٱلرَّبيعِ عَلى ٱلصَّقْرِ ٱلذَّهَبِيِّ فَتَأَلَّقَ فَوْقَ قاعِدَتِهِ ٱلْمُثَبَّتَةِ أَمامَ مَقْعَدِ ٱلشَّريفِ ٱلشّابِّ . وَآذَنَ نَفيرُ ٱلبوقِ بِبَدْءِ ٱلتَّحَدّي ٱلأَوَّلِ ، فَبَرَزَ ٱلفارِسُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ، في ٱلحالِ ، وَمَعَهُ رَفيقَتُهُ .

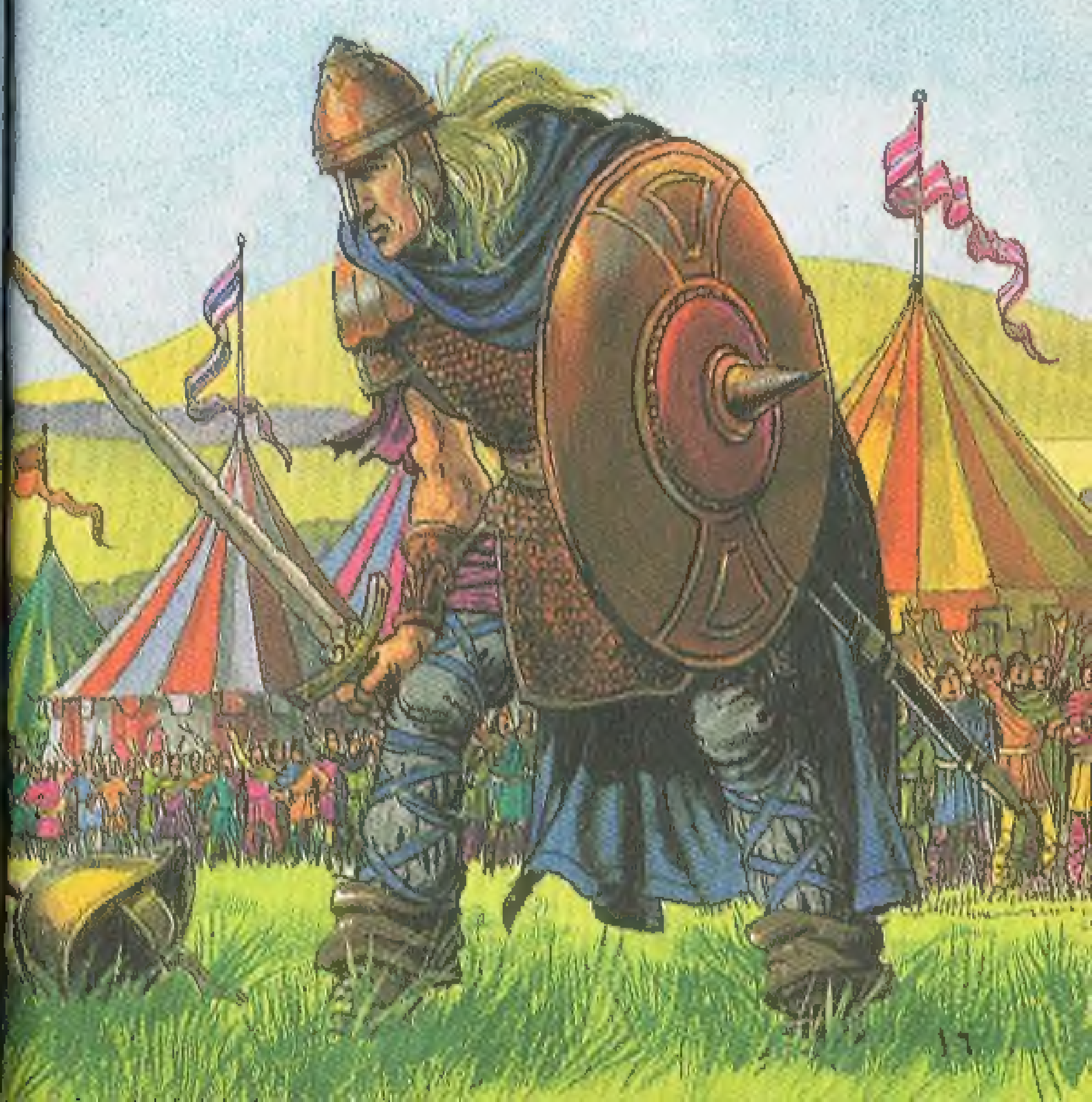
خاطَبَ ٱلفارِسُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ٱلسَّيِّدَةَ بِصَوْتٍ عَميقٍ قائِلًا : « آتيني ٱلصَّقْرَ ٱلذَّهَبِيَّ ، فَإِنّي أُعْلِنُ أَنَّكِ أَجْمَلُ ٱمْرَأَةٍ عَلى وَجْهِ ٱلأَرْضِ . »

وَكانَتِ ٱلْمَرْأَةُ توشِكُ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنَ ٱلصَّقْرِ حينَ زَعَقَ جيرين قائِلًا : « لا تَلْمِسي ٱلصَّقْرَ ، فَأَنا ، كَذٰلِكَ ، أُعْلِنُ أَنَّ مَوْلاتي أَنيد أَجْمَلُ ٱمْرَأَةٍ عَلى وَجْهِ ٱلأَرْضِ ! »

وَضَجَّ ٱلْمُشاهِدونَ جَميعُهُمْ بِٱلضَّحِكِ إِذْ رَأَوْا جيرين مُقْبِلًا وَعَلَيْهِ بِزَّةُ زَرَدٍ صَدِئَةٌ عَتيقَةُ ٱلطِّرازِ . وَكانَتْ دِرْعُهُ صَدِئَةً أَيْضًا ، خالِيَةً مِنْ شِعارٍ يُمَيِّزُ صاحِبَها وَيُعَرِّفُ بِهِ .

ثُمَّ بَدَأَ ٱلنِّزالُ ، وَتصادَمَ ٱلفارِسانِ مَرّاتٍ تَصادُمًا رَهيبًا ، وَتَكَسَّرَ ٱلرُّمْحانِ مَعَ كُلِّ صِدامٍ . وَعِنْدَها بَدَأَ ٱلنَّاس يَتَساءَلونَ عَمَّنْ يَكونُ ذٰلِكَ ٱلفارِسُ صاحِبُ البِزَّةِ الزَّرَدِيَّةِ ٱلصَّدِئَةِ . وَٱقْتَرَبَ ٱلشَّريفُ ٱلعَجوزُ لِكونيل مِنْ جيرين وَقالَ لَهُ : « سَيِّدي ٱلنَّبيلَ ، لَمّا كانَتِ ٱلرِّماحُ ٱلَّتي قاتَلْتَ بِها غَيْرَ مَتينَةٍ فَإِنّي أُقَدِّمُ لَكَ هٰذا ٱلرُّمْحَ ٱلَّذي قُدِّمَ لي يَوْمَ رُسِمْتُ فارِسًا . »

تَقابَلَ ٱلفارِسانِ مَرَّةً أُخْرى ، ضَجَّتِ ٱلجُموعُ بَعْدَها بِزَمْجَرَةٍ



هائِلَةٍ ، فَفي هٰذِهِ ٱلمَرَّةِ تَحطَّمَ رُمْحُ ٱلفارِسِ ٱلْمُتَكَبِّرِ وَحْدَهُ ، وَسَقَطَ ٱلفارِسُ نَفْسُهُ أَرْضًا . عِنْدَها قَفَزَ جيرين عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ وَٱسْتَلَّ سَيْفَهُ ، وَهَبَّ ٱلفارِسُ ٱلْمُنْطَرِحُ أَرْضًا واقِفًا وَٱسْتَلَّ هُوَ ٱلآخَرُ سَيْفَهُ . وَتَقاتَلَ ٱلفارِسانِ بِضَراوَةٍ طَويلًا ، وَوَجَّهَ ٱلواحِدُ مِنْهُما لِلْآخَرِ ضَرَباتٍ عَنيفَةً دامِيَةً . وفيما أَخَذَتْ قِوى ٱلفارِسِ ٱلْمُتَكَبِّرِ تَضْعُفُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، كانَتْ ضَرَباتُ جيرين تَزْدادُ قُوَّةً وَصَلابَةً ، يُشَدِّدُها تَذَكُّرُ ٱلإِهانَةِ ٱلَّتي وُجِّهَتْ إِلى ٱلمَلِكَةِ جنيفَر وَيُقَوِّيها جَمالُ ٱلصَّبِيَّةِ أَنيد .

وَوَجَّهَ جيرين أخيرًا ضَرْبَةً رَهيبَةً سَقَطَ ٱلفارِسُ ٱلْمُتَكَبِّرُ مَعَها جاثِيًا .

صَرَخَ ٱلفارِسُ ٱلرّاكِعُ وَهُوَ يَلْهَثُ قائِلًا : « ٱلرَّحْمَةَ ! أَبْقِ عَلى حَياتي ، أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ! »





فَقالَ جيرين بِبُرودٍ : « لِمَ أُبْقي عَلى حَياةِ مَنْ يَصِلُ بِهِ تَكَبُّرُهُ حَدًّا يُهينُ مَعَهُ ٱلْمَلِكَةَ ؟ »

فَقالَ ٱلفارِسُ ٱلرّاكِعُ : « أُقِرُّ بِخَطَئي ، وَآسَفُ لَهُ أَشَدَّ ٱلأَسَفِ . أَبْقِ عَلى حَياتي وَأَتَعَهَّدُ بِأَنْ أُغَيِّرَ مِنْ خُلُقي . »

فَقالَ جيرين : « اِمْضِ ، إِذًا ، إِلى ٱلْمَلِكَةِ جنيفَر في كامِلوت . اِعْتَرِفْ لَها بِذَنْبِكَ ، وَكَرِّرْ وَعْدَكَ أَمامَها ، وَخَبِّرْها أَنَّ جيرين هُوَ ٱلَّذي أَرْسَلَكَ . »

وَلَمّا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْفُرْسانِ ٱلآخَرينَ لِيَجْرُؤَ عَلى مُنازَلَةِ مَنْ لَهُ شُهْرَةُ جيرين وَضَراوَتُهُ في ٱلقِتالِ ، فَقَدْ قَدَّمَ ٱلشَّريفُ ٱلشّابُّ ٱلصَّقْرَ ٱلذَّهَبِيَّ إِلَيْهِ وَدَعاهُ إِلى قَلْعَتِهِ .

رَدَّ جيرين بِصَوْتٍ صارِمٍ ، قائِلًا : « سَأَعودُ إِلى نُزُلِ ٱلعَجوزِ . »
وَحينَ وَصَلَ جيرين إِلى ٱلنُّزُلِ يُرافِقُهُ ٱلعَجوزُ وَٱلصَّبِيَّةُ أَنيد ، فوجِئوا إِذْ عَلِموا أَنَّ ٱلشَّريفَ ٱلشّابَّ كانَ قَدْ أَرْسَلَ خَدَمَهُ إِلى ٱلنُّزُلِ فَنَظَّفوهُ وَأَعَدّوا وَليمَةً كُبْرى تُقامُ عَلى شَرَفِ ٱلفارِسِ ٱلْمُنْتَصِرِ . وَكانَ ٱلشَّريفُ ٱلشّابُّ نَفْسُهُ هُناكَ في ٱسْتِقْبالِهِمْ .

رَكَعَ ٱبْنُ ٱلأَخِ أَمامَ ٱلعَجوزِ وَقالَ : « عَمِّي ٱلعَزيزَ ، هَلْ لي أَنْ أُعيدَ إِلَيْكَ ، أَمامَ هٰذا ٱلفارِسِ ٱلْمُبَجَّلِ مِنْ فُرْسانِ ٱلْمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ ، أَمْلاكَكَ كُلَّها ، وَأَنْ أَسْأَلَكَ ٱلعَفْوَ ؟ »

عِنْدَها عَمَّ ٱلابْتِهاجُ ، وَكانَتْ وَليمَةً غايَةً في ٱلسَّعادَةِ . وَقُبَيْلَ خِتامِ تِلْكَ ٱلْوَليمَةِ وَقَفَ جيرين يُريدُ ٱلْكَلامَ ، وَأَنْصَتَ ٱلْجَميعُ ، فَقالَ :

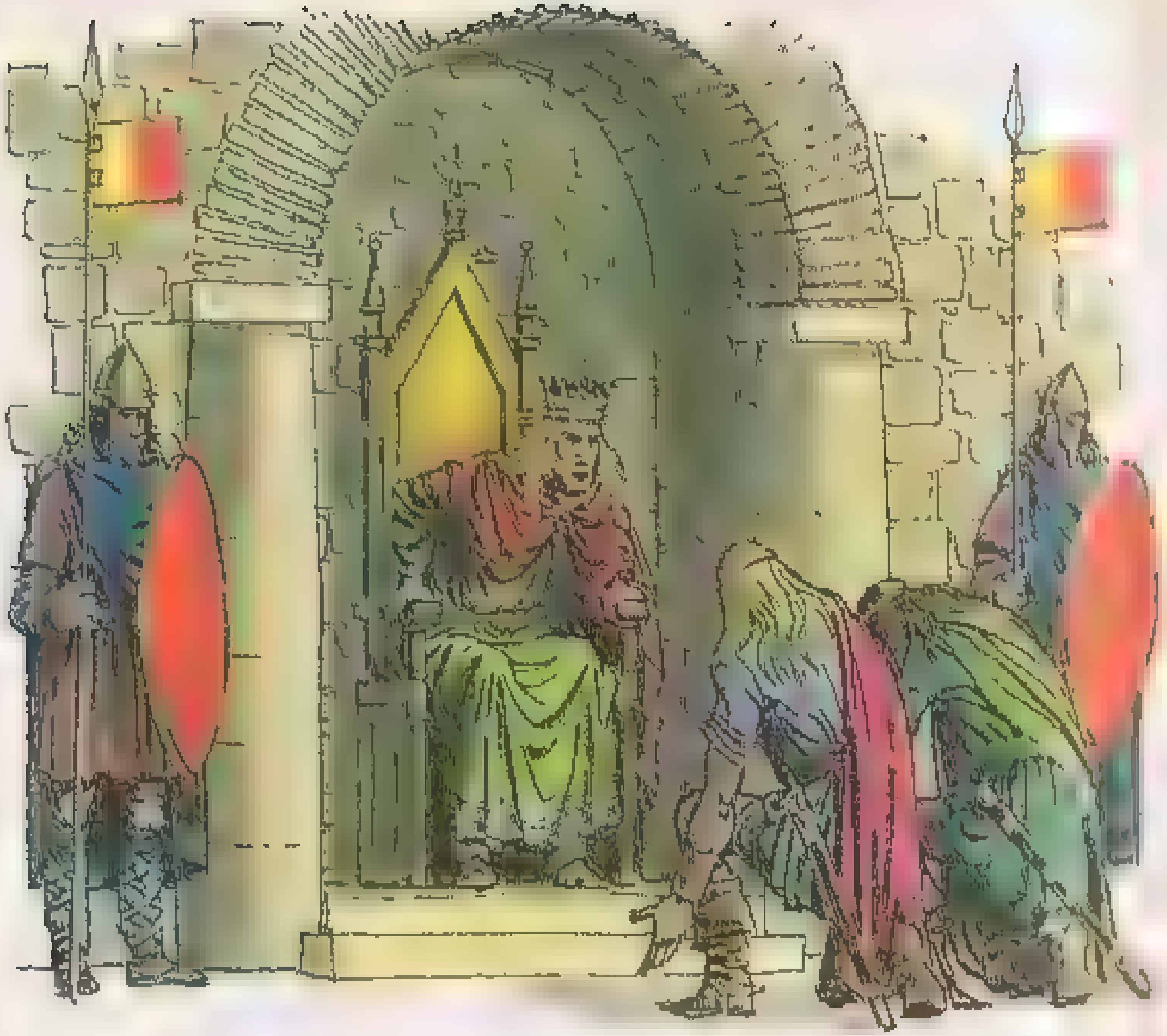
« سَيِّدي ٱلشَّريفَ ، إِنَّ مِنْ عادَةِ فارِسِ ٱلصَّقْرِ ٱلذَّهَبِيِّ حينَ يَنْتَصِرُ أَنْ يَسْأَلَ رَغْبَتَيْنِ ، وَإِنّي لَفاعِلٌ . أَرْغَبُ أَوَّلًا في أَنْ أَحْتَفِظَ بِبِزَّةِ ٱلزَّرَدِ ٱلْعَتيقَةِ ٱلَّتي ٱسْتَعَرْتُها مِنْكَ لِمُبارَزَةِ هٰذا ٱلْيَوْمِ فَإِنَّها عَلى صَدَئِها ، قَدْ أَدَّتِ ٱلْغايَةَ مِنْها ، وَأَوَدُّ أَنْ أَحْتَفِظَ بِها لِتُذَكِّرَني بِهٰذِهِ ٱلْمُبارَزَةِ . »

هَزَّ ٱلشَّريفُ لِكونيل رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا دَليلَ ٱلْمُوافَقَةِ . فَضَحِكَ ٱلْجَميعُ وَصَفَّقوا ٱسْتِحْسانًا .

تابَعَ جيرين كَلامَهُ ، فَقالَ : « وَأَرْغَبُ ثانِيًا ، يا سَيِّدي ، في أَنْ أَنالَ مِنْكَ أَعْظَمَ هَدِيَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ يُقَدِّمَها أَبٌ ، وَهِيَ يَدُ ٱبْنَتِكَ أَنيد ، إِذا قَبِلَتْ بي ٱبْنَتُكَ زَوْجًا ، فَإِنّي أُحِبُّها حُبًّا صادِقًا ، وَأَوَدُّ أَنْ آخُذَها مَعي إِلى كامِلوت حَيْثُ نَتَزَوَّجُ . »

وَعَمَّ ٱلْحَفْلَ جَوٌّ مِنَ ٱلْإِثارَةِ ٱلشَّديدَةِ فيما وَقَفَ ٱلشَّريفُ ٱلْعَجوزُ . وَدَلَّ وَجْهُ ٱلصَّبِيَّةِ ٱلْمُسْتَبْشِرُ عَلى مُوافَقَتِها . فَتَناوَلَ ٱلْأَبُ يَدَ ٱبْنَتِهِ وَوَضَعَها في يَدِ ٱلسَّيْر جيرين ، فارِسِ ٱلصَّقْرِ ٱلذَّهَبِيِّ .





الرِّهان

ٱنْتَفَضَ ٱلْمَلِكُ آرثر غاضِبًا وَخاطَبَ ٱلرَّسولَيْنِ ٱلرّاكِعَيْنِ أَمامَهُ قائِلًا : « هٰذِهِ أَشَدُّ ٱلرَّسائِلِ ٱلَّتي تَقَبَّلْتُها في حَياتي خِزْيًا . احْمِلا ٱلْآنَ جَوابي إِلى مَلِكِكُما رايْنز ، وَقولا لَهُ إِنّي أَرْفُضُ مَطالِبَهُ ٱلْوَقِحَةَ ، وَإِنّي فَوْقَ ذٰلِكَ أُنْذِرُهُ أَنَّهُ إِذا خَرَجَ مِنْ مَمْلَكَةِ ويلز ٱلشَّمالِيَّةِ مُحاوِلًا ٱلاسْتيلاءَ بِٱلْقُوَّةِ عَلى جُزْءٍ مِنْ أَرْضي ٱلَّتي يَدَّعي مُلْكِيَّتَها ، فَسَوْفَ أَنْقَضُّ عَلَيْهِ مَعَ فُرْساني جَميعِهِمْ وَأَسْحَقُهُ سَحْقًا .



وَحينَ ٱرْتَحَلَ رَجُلا ٱلْمَلِكِ رايْنْ، كانَ رُسُلُ ٱلْمَلِكِ آرثر قَدِ ٱنْطَلَقوا فِعْلًا يَسْتَدْعونَ فُرْسانَ ٱلْمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ مِنْ شَتّى ٱلْأَنْحاءِ لِلاجْتِماعِ في كامِلوت. فَٱلْمَلِكُ آرثر لَمْ يَكُنْ يَثِقُ بِمَلِكِ ويلز. لِذا كانَ لا بُدَّ مِنَ ٱلاسْتِعْدادِ لِلْقِتالِ. وَٱسْتِدْعاءُ ٱلْفُرْسانِ يَسْتَغْرِقُ أَيّامًا وَأَيّامًا.

وَكانَ أَوَّلَ فارِسَيْنِ يُلَبِّيانِ ٱلدَّعْوَةَ السَّير بالِن وَٱلسَّير بورْس ٱبنا أَحَدِ مُلوكِ كورْنول ٱلتَّوْءَمانِ. وكانا أَصْغَرَ فُرْسانِ ٱلْمَلِكِ آرثر سِنًّا.



وَهُما، على شُهْرَتِهِما في ٱلْمُبارَزَةِ بِٱلسَّيْفِ وَبِٱلرُّمْحِ، لَمْ تَكُنْ قَدْ أُتيحَتْ لَهُما ٱلْفُرْصَةُ بَعْدُ لِيُثْبِتا فُروسِيَّتَهُما في ٱلْحَرْبِ أَوْ في مُغامَرَةٍ مُثيرَةٍ.

وَها هُما ٱلشَّقيقانِ مَعًا في ٱلْقاعَةِ ٱلْكُبْرى مُنْزَوِيَيْنِ دونَ سائِرِ ٱلْفُرْسانِ، يَتَحَدَّثانِ حَديثًا وُدِّيًّا مَرِحًا.

قالَ السَّير بورْس: «أَيَّةُ مُغامَرَةٍ هٰذِهِ ٱلَّتي يَسْتَدْعي فيها ٱلْمَلِكُ فُرْسانَهُ جَميعًا؟ لا شَكَّ عِنْدي أَنّي وَحْدي قادِرٌ عَلى مُعالَجَتِها»

اِبْتَسَمَ بالِن وَقالَ : « إنْ تَكُنْ تِلْكَ مُهِمَّةَ رَجُلٍ واحِدٍ فَلَنْ يَلْتَفِتَ ٱلْمَلِكُ إِلَيْكَ ، ولا حَتَّى إلى لانسِلُت ٱلْبُحَيْرِيِّ ، ما دُمْتُ أنا مَوْجودًا . »

فَضَحِكَ بورْس وَقالَ : « أَتُقارِنُ نَفْسَكَ بلانسِلُت ؟ من حُسْنِ حَظِّكَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنا فَيَسْمَعَ تَبَجُّحَكَ وَتَباهِيكَ . »



فَهَتَفَ بالِن هُتافَ مَرَحٍ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ على كَتِفِ أَخيهِ وَقالَ : أُراهِنُكَ أَنَّهُ أَيًّا كانَتِ ٱلْمُغامَرَةُ ٱلَّتي سَيَتَمَخَّضُ عَنْها مَجْلِسُ ٱلْمَلِكِ هٰذا فَسَأَكونُ أَوَّلَ مَنْ يَخوضُها مُثْبِتًا أَنّي أَقْوى ٱلْفُرْسانِ وَأَشَدُّ ٱلْمُحارِبينَ ضَراوَةً . »

فَأَمْسَكَ بورْس بِيَدِ أَخيهِ وَقالَ : « قَبِلْتُ رِهانَكَ لكِنِ ٱنْظُرْ ، فَها هُوَ ٱلْمَلِكُ وَأَعْضاءُ مَجْلِسِهِ قادِمونَ ، وَأَراهُمْ غاضِبينَ غَضَبًا لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ . »

اتَّخَذَ ٱلْفُرْسانُ مَقاعِدَهُمْ حَوْلَ ٱلْمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ وَأَنْصَتوا بِغَضَبٍ صامِتٍ إلى خِطابِ ٱلْمَلِكِ عَنْ تَهْديداتِ رايْنْز .

هَمَسَ بورْس في أُذُنِ بالِن قائلًا : « حَتَّى أَنا لا أَقْدِرُ على هذِهِ ٱلْمُهِمَّةِ وَحْدي . فرايْنْز هٰذا ، كَما يُقالُ عَنْهُ ، مُقاتِلٌ شَرِسٌ يَتَزَعَّمُ رِجالًا كُثُرًا يُضارِعونَهُ شَراسَةً . »

فَرَدَّ بالِن : « سَمِعْتُ بِذٰلِكَ أَنا أَيْضًا ، فَيَسْتَحْسَنُ أَنْ نُؤَجِّلَ رِهانَنا إلى مُناسَبَةٍ أَفْضَلَ . »

في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ٱنْفَتَحَتْ بَوّابَةُ ٱلْقاعَةِ ٱلْكُبْرى عَلى مِصْراعَيْها وَدَخَلَتْ مِنْها ٱمْرَأَةٌ شابَّةٌ .

وَقَفَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَمامَ ٱلْمَلِكِ وَقالَتْ : « أَيُّها ٱلْمَلِكُ ٱلْجَليلُ : أَحْمِلُ إِلَيْكَ رِسالَةً مِنَ ٱلْمَلِكِ رايْنْز ، حَمَّلَني إِيّاها أَثْناءَ عُبوري أَرْضَهُ . »

وَأَنْصَتَ ٱلْجَميعُ بِتَلَهُّفٍ لِلسَّيِّدَةِ ٱلَّتي تابَعَتْ تَقولُ : « أَمَرَني أَنْ أَقولَ لَكَ إِنَّهُ ما دُمْتَ لَنْ تُعْطي فَسَيَأْخُذُ . »

وَشَرَعَ ٱلفُرْسانُ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ أَيْضًا يُطْلِقونَ ٱلعِباراتِ ٱلغاضِبَةَ . وَرَأَتِ ٱلسَّيِّدَةُ وَجْهَ ٱلمَلِكِ ٱلْمُكْفَهِرَّ فَقالَتْ عَلى عَجَلٍ : « لا أَعْلَمُ ، يا سَيِّدي ، ما تَعْنيهِ ٱلرِّسالَةُ . وَإِنَّما أَنا أَنْقُلُ ما أُمِرْتُ أَنْ أَنْقُلَهُ . لِذا فَإِنِّي ، بَعْدَ إِذْنِكَ ، سَأَمْضي وَراءَ مَطْلَبي . »

اِسْتَدارَتِ ٱلسَّيِّدَةُ لِتَمْضِيَ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلمَلِكَ ٱسْتَوْقَفَها ، وَأَشارَ بِيَدِهِ طالِبًا مِنْ فُرْسانِهِ ٱلعاصِينَ أَنْ يَلْتَزِموا ٱلهُدوءَ ، وَقالَ بِلُطْفٍ :

« لا تَرْحَلي ، أَيَّتُها ٱلسَّيِّدَةُ ، لا تَرْحَلي . وَٱعْلَمي أَنَّنا لَسْنا غاضِبينَ مِنْكِ ، بَلْ مِنَ ٱلمَلِكِ ٱلمُزَيَّفِ ٱلَّذي نَقَلْتِ إِلَيْنا كَلِماتِهِ . وَجَميعُنا ، فَوْقَ ذٰلِكَ ، نَرْغَبُ في أَنْ نَسْتَوْضِحَكِ عَنِ ٱلمَطْلَبِ ٱلَّذي ذَكَرْتِ ، وَٱلَّذي جاءَ بِكِ مِنْ ويلز ٱلشَّمالِيَّةِ إِلى كاملوت . »

أَزاحَتِ ٱلسَّيِّدَةُ طَرَفَ عَباءَتِها فَٱنْكَشَفَ سَيْفٌ هائِلٌ مُثَبَّتٌ في حِزامِها ، وَقالَتْ : « هٰذا هُوَ مَطْلَبي ، يا سَيِّدي . »

فَسَأَلَ ٱلمَلِكُ آرثر في دَهْشَةٍ : « لِمَ تَحْمِلينَ هٰذا ؟ »

فَقالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ : « إِنَّهُ كَفّارَةٌ ، يا سَيِّدي . وَأَنا أَبْحَثُ عَنْ فارِسٍ طاهِرِ ٱلذَّيْلِ ، إِذْ لا يَسْتَطيعُ أَنْ يَسُلَّ هٰذا ٱلسَّيْفَ مِنْ غِمْدِهِ فَيُخَلِّصَني مِنْ عِبْئِهِ غَيْرُ فارِسٍ طاهِرِ ٱلذَّيْلِ . لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ في بَلاطِ ٱلمَلِكِ رايْنْز أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ ، وَكُنْتُ آمُلُ أَنْ أَجِدَ ٱلعَوْنَ في بَلاطِكَ غَيْرَ أَنّي أَغْضَبْتُكَ فَلَمْ أَجْرُؤْ عَلى ٱلسُّؤالِ . »

فَقالَ ٱلمَلِكُ آرثر : « إِنَّها لَمُعْجِزَةٌ حَقًّا . وَلٰكِنْ لا يُدْهِشُني أَنَّكِ لَمْ تَعْثُري عَلى ٱلفارِسِ ٱلمَنْشودِ بَيْنَ أَتْباعِ رايْنْز . فَلْأُجَرِّبْ أَنا أَوَّلًا ، وَإِذا أَخْفَقْتُ فَلا شَكَّ أَنَّ واحِدًا مِنْ فُرْساني سَيُخَلِّصُكِ مِنْ كَفّارَتِكِ . » قالَ ٱلمَلِكُ ذٰلِكَ وَأَمْسَكَ ٱلغِمْدَ بِعَزْمٍ بِإِحْدى يَدَيْهِ وَأَمْسَكَ بِٱلأُخْرى مَقْبِضَ ٱلسَّيْفِ . شَدَّ ٱلمَلِكُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَلٰكِنْ بِلا جَدْوى .





وَقالَتِ السَّيِّدَةُ: «الأَمْرُ لَيْسَ بِالقُوَّةِ، يا سَيِّدي. فَالرَّجُلُ المُناسِبُ سَيَسْتَلُّ السَّيْفَ بِيُسْر.»

وَتَتابَعَ الفُرْسانُ، الواحِدُ بَعْدَ الآخَرِ، عَلى مُحاوَلَةِ اسْتِلالِ السَّيْفِ. وَلٰكِنَّهُمْ جَميعًا أَخْفَقوا. وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السَّير بالِن والسَّير بورْس، فَإِنَّهُما لَمّا كانا أَصْغَرَ الفُرْسانِ سِنًّا انْتَظَرا آخِرَ الدَّوْرِ. جَرَّبَ السَّير بورْس وَأَخْفَقَ. اقْتَرَبَ السَّير بالِن فَخَيَّمَ الصَّمْتُ عَلى الجَميعِ شِبْهَ آمِلينَ في أَلّا يَنْجَحَ الفارِسُ الشّابُّ حَيْثُ أَخْفَقوا هُمْ.

سَحَبَ السَّير بالِن السَّيْفَ فَانْسَحَبَ مَعَهُ بِيُسْرٍ. وَضَجَّتِ القاعَةُ بِلَغَطِ الانْدِهاشِ.

وَأَسْعَدَ المَلِكَ أَنَّ واحِدًا مِنْ فُرْسانِهِ أَنْجَزَ ما لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْ أَتْباعِ رايْنز الكَريهِ أَنْ يَفْعَلَهُ. فَهَتَفَ: «ما أَرْوَعَ هذا!»

وَقالَتِ السَّيِّدَةُ: «ما أَرْوَعَ هٰذا حَقًّا!» ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلى السَّير بالِن، وَقالَتْ: «وَالآنَ، رُدَّ لي سَيْفي أَيُّها السَّيِّدُ اللَّطيفُ، حَتّى أَتَخَلَّصَ مِنْهُ.»

فَهَتَفَ بالِن في دَهْشَةٍ: «أَرُدُّهُ لَكِ! أَبَدًا! إِنَّهُ سَيْفي الآنَ.»

فَقالَتِ السَّيِّدَةُ بِأَسًى: «لَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ الاحْتِفاظُ بِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ سَتَقْتُلُ بِهِ أَعَزَّ أَصْدِقائِكَ وَأَغْلى النّاسِ عَلى قَلْبِكَ.»

وَلٰكِنْ أَصَرَّ بالِن عَلى مَوْقِفِهِ. فَارْتَحَلَتِ السَّيِّدَةُ في أَسَفٍ عَميقٍ. وَاسْتَأْنَفَ المَلِكُ آرْثَر مَجْلِسَهُ.

غادَرَ القاعَةَ، كَذٰلِكَ، بالِن وبورْس اللَّذانِ قَرَّرا أَنْ يُباشِرا، دونَ إِبْطاءٍ، البَحْثَ عَنِ المُغامَرَةِ الَّتي سَتُثْبِتُ فُروسِيَّتَهُما. وَكانَ بالِن واثِقًا مِنْ أَنَّ سَيْفَهُ الجَديدَ سَيُساعِدُهُما في وَضْعِ خُطَّةٍ جَريئَةٍ تَأْتيهِما، إِنْ نَجَحَتْ، بِالشَّرَفِ وَالشُّهْرَةِ الواسِعَةِ.

وَخاطَبَ بالِن أَخاهُ بورْس ، في أَثْناءِ ٱلرِّحْلَةِ ، بِحماسةٍ قائلًا : « إذا كانَ في ٱلمَلِكِ رايْنْز شَيْءٌ مِنْ أَخْلاقِ ٱلفُروسِيَّةِ فَسَيَقْبَلُ تَحَدِّينا وَيُنازِلُنا بِصُحْبَةِ رَجُلٍ واحِدٍ فَحَسْبُ مِنْ فُرْسانِهِ . وَٱلَّذي يَتَمَكَّنُ مِنّا مِنْ جَنْدَلَتِهِ سَيُصْبِحُ ، وَلا رَيْبَ ، واحِدًا مِنْ مُقَدَّمي فُرْسانِ ٱلمَلِكِ آرْثر ، وَيَكونُ قَدْ كَسَبَ ٱلرِّهانَ . »

فَرَدَّ بورْس : « وما يَكونُ مَصيرُنا لَوْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ ، كَما يُقالُ عَنْهُ ، غَدّارٌ فَهاجَمَنا هُوَ وَرِجالُهُ جَميعًا ، أَوْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ ، كَما يُقالُ عَنْهُ أَيْضًا ، مُقاتِلٌ شَرِسٌ عَنيدٌ فَصَرَعَنا مَعًا ؟ »

فَأَجابَ بالِن بِحُبورٍ : « إِذَنْ نَموتَ ميتَةً مَجيدَةً . هَيّا بِنا نُتابِعِ ٱلرِّحْلَةَ . » وَٱنْطَلَقا يَطْلُبانِ مُغامَرَتَهما .

* * *

كانَتْ مَدينَةُ كامِلوت في ٱلأَسابيعِ ٱلَّتي أَعْقَبَتِ ٱجْتِماعَ مَجْلِسِ ٱلمَلِكِ آرْثر مَرْكَزَ ٱسْتِعْداداتٍ حَرْبِيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدى ٱلمَلِكِ أَوْ لَدى أَيٍّ مِنْ فُرْسانِهِ وَقْتٌ لِلتَّفْكيرِ في أَمْرِ ٱلأَخَوَيْنِ بالِن وبورْس .

لكِنْ في صَبيحَةِ أَحَدِ ٱلأَيّامِ سَمِعَ ٱلمَلِكُ وَٱثْنانِ مِنْ أَرْكانِ حَرْبِهِ ، السّير لانْسِلُت والسّير بِدِفير ، هُتافَ ٱبْتِهاجٍ صادِرًا عَنِ ٱلشّارِعِ . فَخَرَجوا إلى شُرْفَةِ ٱلحِصْنِ يَسْتَطْلِعونَ ٱلأَمْرَ . وَأَذْهَلَهُمْ أَنَّهُمْ رَأَوْا صَفًّا مِنَ ٱلرِّجالِ غَيْرَ ٱلمُسَلَّحينَ يَتَقَدَّمونَ تَقَدُّمًا بَطيئًا إلى ساحَةِ ٱلحِصْنِ ، وَعَلى رَأْسِهِمْ فارِسٌ شابٌّ يَحْمِلُ سَيْفَيْنِ .



هُرِعَ ٱلمَلِكُ يَنْزِلُ ٱلدَّرَجَ فَٱلْتَقى بِٱلفارِسِ ٱلشّابِّ يَقودُ مُحارِبًا طَويلًا مُلْتَحِيًا مُتَجَلْبِبًا بِثِيابٍ حَمْراءَ . وَرَكَعَ ٱلفارِسُ أَمامَ ٱلمَلِكِ .



قالَ ٱلفارِسُ : « سَيِّدي ٱلمَلِكَ ، ها أنا ، بالِن ، آتيكَ بِٱلمُتَمَرِّدِ رايْنِر . لَقَدْ قَهَرْتُهُ أنا وَأخي بورْس في مُبارَزَةٍ مُعْتَمَدَةٍ ، وَجِئْناكَ بِهِ يُبايِعُكَ وَيُقَدِّمُ فُروضَ ٱلطَّاعَةِ . وَجاءَ مَعَهُ خَمْسونَ مِنْ فُرْسانِهِ . »

ثُمَّ ٱنْتَصَبَ بالِن واقِفًا ، وَتابَعَ كَلامَهُ قائِلًا : « وَٱسْمَحْ لِيَ ٱلآنَ ، يا سَيِّدي ، أنْ أَمْضِيَ باحِثًا عَنْ أخي ، لِأَنَّهُ ٱرْتَحَلَ يَطْلُبُ ٱلمُغامَرَةَ ، وَإنَّ بَيْنَنا رِهانًا لَمْ نَعْرِفْ بَعْدُ مَنْ مِنّا يَكْسِبُهُ . »

وَٱنْطَلَقَ بالِن تارِكًا ٱلمَلِكَ وَرِجالَ بَلاطِهِ جَميعًا في عَجَبٍ مِنْ أَمْرِ كَلِماتِهِ وَأَمْرِ بُطولاتِهِ .

وَقامَ بالِن في ٱلأَشْهُرِ ٱلتّالِيَةِ بِمُغامَراتٍ كَثيرَةٍ فَريدَةٍ ، وَٱشْتَهَرَ

في أَنْحاءِ ٱلبِلادِ بِٱسْمِ فارِسِ ٱلسَّيْفَيْنِ . غَيْرَ أَنَّهُ طَوالَ تِلْكَ ٱلفَتْرَةِ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا عَنْ أَخيهِ بورْس .

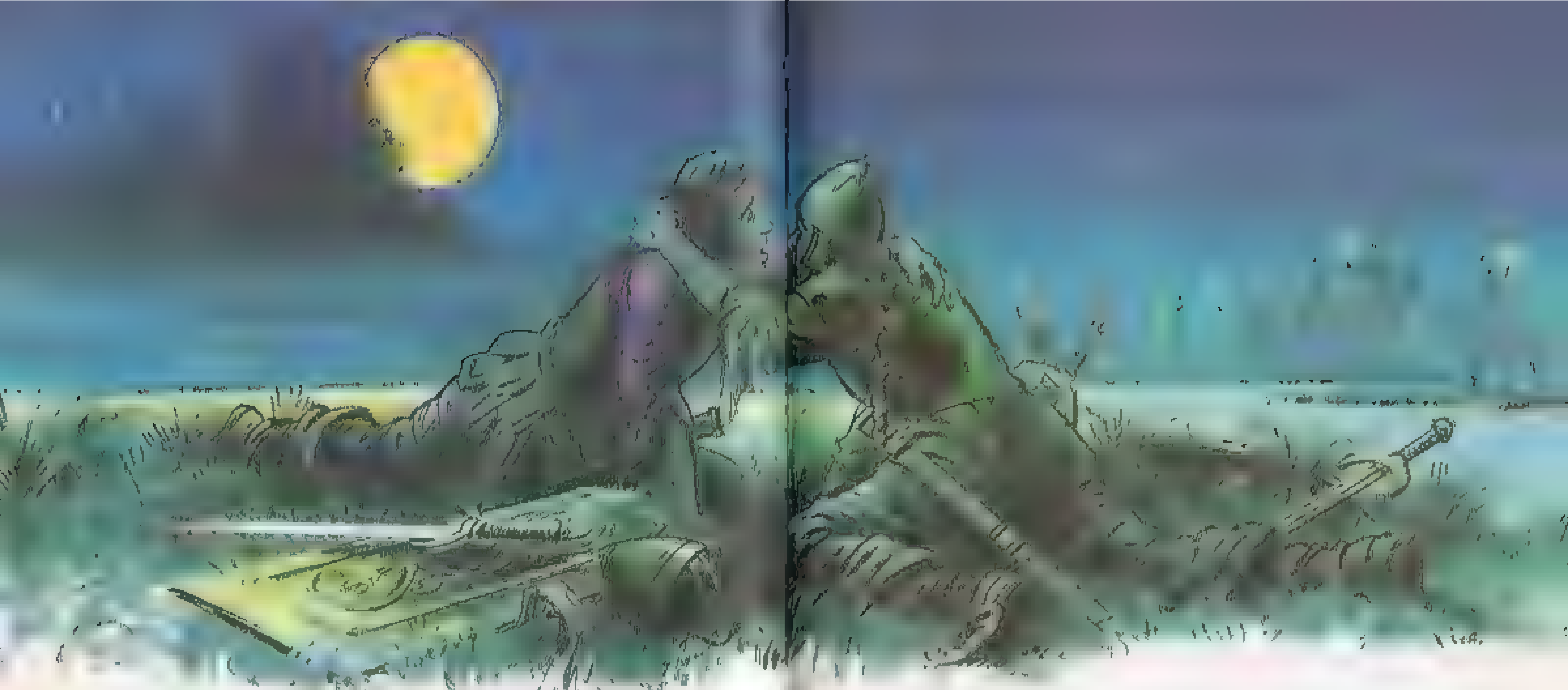
وَبَيْنَما هُوَ يَبْحَثُ عَنْ أَخيهِ وَصَلَ يَوْمًا إلى قَلْعَةٍ كانَ سَيِّدُها قَدْ أَعَدَّ وَليمَةً عَظيمَةً عَلى شَرَفِهِ . وَبَعْدَ ٱنْتِهاءِ ٱلوَليمَةِ قالَ ٱلسَّيِّدُ : « إنَّ مِنْ عادَتِنا أنْ نَطْلُبَ مِنْ كُلِّ مَنْ يَنْزِلُ هُنا أنْ يُقاتِلَ حارِسَ ٱلجَزيرَةِ ٱلمُقابِلَةِ . »

فَرَدَّ بالِن بِهُدوءٍ : « تِلْكَ عادَةٌ ذَميمَةٌ ، وَلٰكِنّي لَسْتُ أَهابُ ٱلقِتالَ . »

فَقالَ سَيِّدُ ٱلقَلْعَةِ : « إذًا ، خُذْ هٰذِهِ ٱلدِّرْعَ ، فَدِرْعُكَ صَغيرَةٌ بَعَجَتْها مَعارِكُكَ ٱلكَثيرَةُ وَقَرَّتْها . »

أَخَذَ بالِن ٱلدِّرْعَ ٱلجَديدَةَ ، وَتَرَكَ دِرْعَهُ ٱلقَديمَةَ ثُمَّ عَبَرَ مِياهَ ٱلنَّهْرِ ٱلضَّحْلَةَ لِيَصِلَ إلى ٱلجَزيرَةِ . لَمْ يَكُنِ ٱلقَمَرُ قَدْ بَزَغَ بَعْدُ ، فَلَمْ يُمَيِّزْ طَريقَهُ إلّا بِصُعوبَةٍ . وَٱنْفَتَحَتْ ، فَجْأَةً ، عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ ، بَوّابَةُ قَلْعَةٍ . وَلَمَحَ بالِن مِنْ خِلالِ ٱلنّورِ ٱلَّذي تَسَرَّبَ مِنَ ٱلبَوّابَةِ ٱلمَفْتوحَةِ فارِسًا بِبِزَّةِ زَرَدٍ سَوْداءَ يَخْرُجُ لِلْقِتالِ . وَحالَما أُغْلِقَتِ ٱلبَوّابَةُ عادَ ٱلظَّلامُ يُخَيِّمُ .

تَبادَلَ بالِن وَٱلفارِسُ ٱلأَسْوَدُ ٱلتَّحَدِّيَ وَٱلْتَحَما ، فَلَمْ يَكُنْ يُرى غَيْرُ وَميضِ ٱلسِّلاحِ . قاتَلا كِلاهُما قِتالاً ضارِيًا ، راكِبَيْنِ وَراجِلَيْنِ ، أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِ ساعاتٍ ، ثُمَّ سَقَطا أَرْضًا مُصابَيْنِ بِجِراحٍ مُميتَةٍ .



قالَ بالِن بِصَوْتٍ واهِنٍ : « مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَنا لَمْ أُقابِلْ في حَياتي فارِسًا لَهُ شَجاعَتُكَ . »

أَجابَ الْفارِسُ الْأَسْوَدُ : « أَنا بورْس أَخو الْفارِسِ الشَّهيرِ بالِن . »

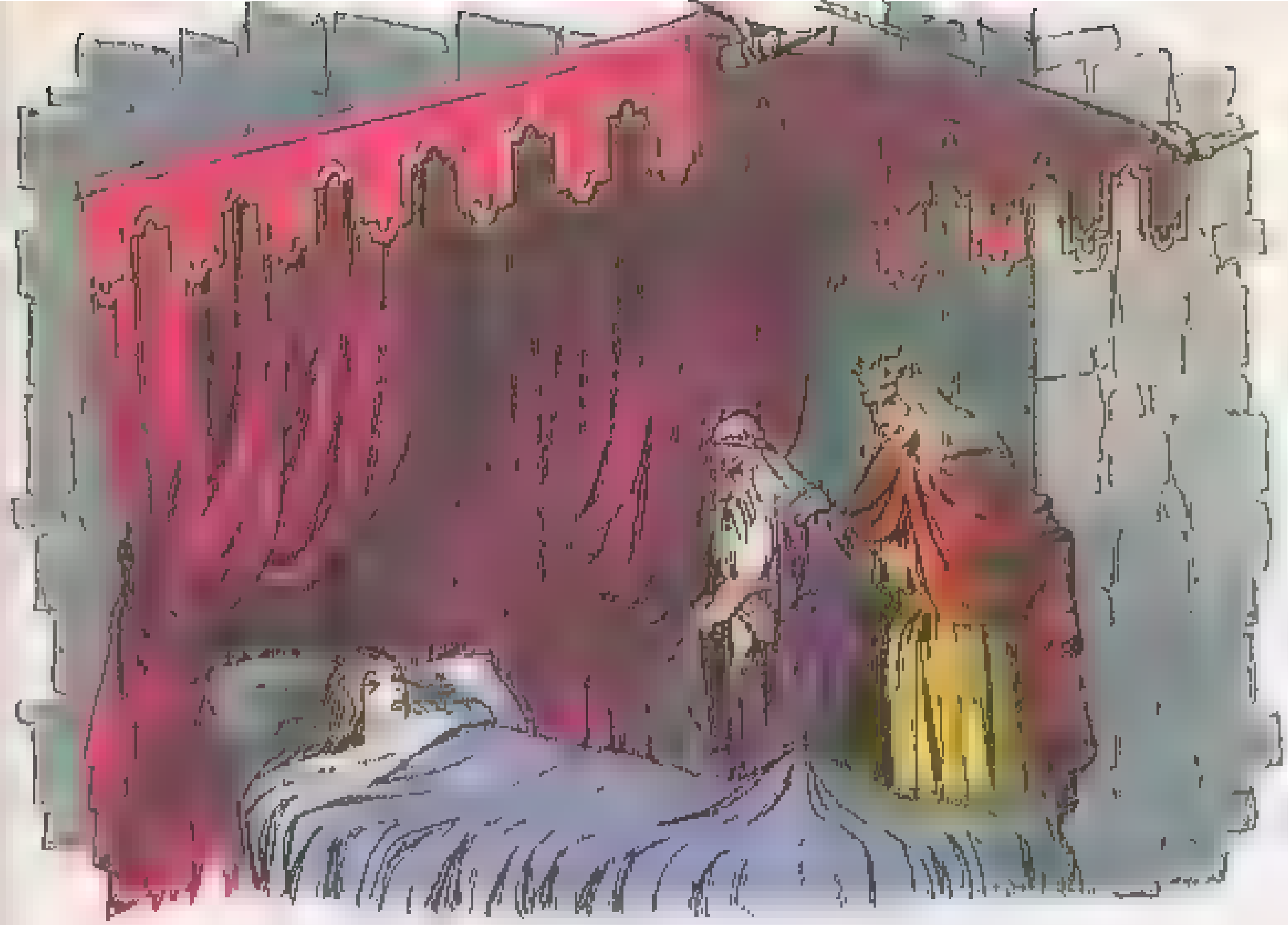
فَصَرَخَ بالِن وَهُوَ يَنْزِعُ خوذَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ : « واحَسْرَتاهُ ، لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ الْيَوْمِ . ما الَّذي جاءَ بِكَ إلى هُنا ؟ لقد قَتَلَ بَعْضُنا بَعْضًا . »

بَزَغَ الْقَمَرُ مِنْ بَيْنِ الْأَشْجارِ فَعَرَفَ بورْس أَخاهُ فَقالَ في ما

يُشْبِهُ الْأَنينَ : « مَرَرْتُ مِنْ هُنا وَصَرَعْتُ حارِسَ الْجَزيرَةِ ، فَاحْتَجَزوني في الْقَلْعَةِ وَأَجْبَروني على أَنْ أُقاتِلَ كُلَّ قادِمٍ . وَلَمْ أَعْرِفْكَ في الظَّلامِ الشَّديدِ حينَ بَدَأَ الْقِتالُ . »

نَظَرَ بالِن نَظْرَةً أَخيرَةً إلى وَجْهِ أَعَزِّ أَهْلِ الْأَرْضِ على نَفْسِهِ ، وَهَمَسَ : « كانَتِ السَّيِّدَةُ عَلى حَقٍّ . »

فَأَمْسَكَ بورْس بِيَدِ أَخيهِ وَقالَ بِحَنانٍ : « وَلَمْ يَكْسِبْ أَيٌّ مِنّا الرِّهانَ . فَإِنَّنا مُتَعادِلانِ في الْحَياةِ وَفي الْمَوْتِ عَلى السَّواءِ »



فارِسُ ٱلنّافورَةِ

كانَ قَدْ مَضى عَلى ٱلمَلِكَةِ جنيفر أُسْبوعانِ وَهْيَ تَرْقُدُ عَلى فِراشِ ٱلمَرَضِ . وَمَعَ أَنَّ مَوْجَةَ ٱلحُمّى ٱلأُولى كانَتْ قَدْ فارَقَتْها فَٱلمَلِكَةُ ٱلرَّقيقَةُ لَمْ تَكُنْ قادِرَةً عَلى ٱسْتِعادَةِ قِواها .

وَراحَ ٱلمَلِكُ آرْثر يَذْرَعُ ٱلغُرْفَةَ بِقَلَقٍ وَهْوَ يَقولُ : « أَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلاجٌ آخَرُ يا ميرْلِن . »

فَرَدَّ ٱلعَجوزُ بِأَسًى ، وَهْوَ يَهُزُّ رَأْسَهُ يَمينًا وَيَسارًا ، قائِلًا :

« يَبْدو أَنَّ أَقْوى ٱلأَعْشابِ وَأَفْضَلَ ٱلعِلاجاتِ لا تُساعِدُ مَليكَتي في ٱلوَقْتِ ٱلحاضِرِ . لَسْتُ أَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا يُمْكِنُ أَنْ يُفيدَ . إِلّا إِذا . . . »

وَصَمَتَ ٱلعَجوزُ ، فَأَمْسَكَ ٱلمَلِكُ ذِراعَهُ وَقالَ بِلَهْفَةٍ وَقَلَقٍ :

« إِلّا إِذا ماذا ؟ هَلْ تَبَيَّنَ لَكَ ما تَسْتَطيعُ فِعْلَهُ ؟ »

فَرَدَّ ميرْلِن وَقَدِ ٱرْتَسَمَتْ عَلى شَفَتَيْهِ ٱبْتِسامَةٌ خَفيفَةٌ قائِلًا :

« لَسْتُ أَنا ٱلَّذي أَسْتَطيعُ يا سَيِّدي . وَلَوْ كُنْتُ شابًّا لَحاوَلْتُ . فَٱلمُهِمَّةُ تَتَطَلَّبُ فارِسًا شابًّا شُجاعًا لا يَهابُ ٱلمَخاطِرَ . »

فَهَتَفَ آرْثر : « أَنا لِهٰذِهِ ٱلمُهِمَّةِ ، إِذًا . فَأَنا شابٌّ خَبِرْتُ ٱلمَخاطِرَ وَأَبْدَيْتُ ٱلشَّجاعَةَ . »

فَقالَ ميرْلِن بِهُدوءٍ : « ما تَقولُهُ حَقٌّ ، يا سَيِّدي . ولٰكِنَّ عِنْدَكَ ٱلعَديدَ مِنْ فُرْسانِ ٱلمائِدَةِ ٱلمُسْتَديرَةِ ، فَمُرْ واحِدًا مِنْهُمْ يُجِبْكَ إِلى طَلَبِكَ . فَمَكانُكَ أَنْتَ إِلى جِوارِ ٱلمَلِكَةِ . أَضِفْ إِلى ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّكْسون شَرَعوا في شَنِّ غاراتِهِمْ ، وَقَدْ تَجِدُ نَفْسَكَ قَريبًا مُضْطَرًّا لِقِتالِهِمْ »

فَقالَ ٱلمَلِكُ : « في قَوْلِكَ حِكْمَةٌ وَفي قَوْلي تَسَرُّعٌ . وَلٰكِنْ كَيْفَ لي أَنْ آمُرَ واحِدًا مِنْ فُرْساني ٱلمُخْلِصينَ ، أَوْ حَتّى أَنْ أَسْأَلَهُ ، أَنْ يُواجِهَ ٱلمَخاطِرَ ٱلَّتي يَنْبَغي أَنْ أُواجِهَها بِنَفْسي . فَجِنيفَر زَوْجَتي أَنا . »

فَقالَ ميرْلِن : « وَهْيَ أَيْضًا مَليكَتُهُمْ . »

وَٱرْتَفَعَ في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ مِنْ خَلْفِهِما صَوْتٌ شُجاعٌ قائِلًا :

« وَمِنْ أَجْلِها أُواجِهُ أَعْظَمَ ٱلمَخاطِرِ راضِيًا ، دونَ أَنْ أَتَلَقّى أَمْرًا أَوْ حَتّى أُسْأَلَ سُؤالًا . ما عَلَيْكُما إِلّا أَنْ تُبَيِّنا لي ما أَفْعَلُ وَأَيْنَ هِيَ هٰذِهِ ٱلمَخاطِرُ ، فَإِنّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْ حَديثِكُما إِلّا ٱلجُزْءَ ٱلأَخيرَ ، سَمِعْتُهُ أَثْناءَ ٱقْتِرابي مِنْكُما »

اِسْتَدارَ ٱلْمَلِكُ سَرِيعًا وَأَمْسَكَ بِيَدِ ٱلْمُتَكَلِّمِ وَحَيَّاهُ بِحَرارَةٍ ، وَقالَ : « أَنا نَفْسي لا أَعْرِفُ يا جاوين طَبيعَةَ ٱلْمَخاطِرِ ٱلْمُنْتَظَرَةِ ، فَميرْلِن لَمْ يُخْبِرْني شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ . وَلٰكِنّي أَعْرِفُ أَنّي لا أُريدُكَ أَنْ تُواجِهَها ، فَأَنا هُنا أَحْتاجُكَ إِلى جانِبي أَكْثَرَ مِمّا أَحْتاجُ أَيَّ فارِسٍ آخَرَ . »

رَكَعَ جاوين عَلى إِحْدى رُكْبَتَيْهِ أَمامَ ٱلْمَلِكِ وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِحَرارَةٍ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِتَوَلّي ٱلْمُهِمَّةِ ، فَأَذِنَ لَهُ ٱلْمَلِكُ أَخيرًا بِذٰلِكَ مُكْرَهًا .

وَبَيْنَما كانَ أَحَدُ ٱلتّابِعينَ يُعِدُّ فَرَسَ ٱلسَّيْرِ جاوين وَبِزَّةَ زَرَدِهِ راحَ ميرْلِن يُخْبِرُ عَنْ نافورَةٍ عَجيبَةٍ يُقالُ إِنَّ ماءَها شافٍ لِلْعِلَلِ كُلِّها . وَقالَ : « تَقَعُ ٱلنّافورَةُ في ساحَةِ قَلْعَةٍ حَصينَةٍ ، وَٱلْقَلْعَةُ قائِمَةٌ شَمالًا وَسْطَ غاباتٍ بَعيدَةٍ غَيْرِ مَطْروقَةٍ . »

فَقالَ جاوين بِحَماسَةٍ : « سَأَجِدُها . »

فَرَدَّ ميرْلِن بِتَجَهُّمٍ : « قَدْ يَكونُ ذٰلِكَ ٱلْجانِبَ ٱلْأَسْهَلَ في مُهِمَّتِكَ . فَإِنَّهُ يُقالُ إِنَّ لِلْقَلْعَةِ فارِسًا صِنْديدًا يَحْرُسُها ، وَإِنَّ قَزَمًا مُحارِبًا شَرِسًا يَخْفُرُ ٱلْمَمَرَّ ٱلْوَحيدَ ٱلْمُؤَدِّيَ إِلَيْها عَبْرَ ٱلْغابَةِ ٱلْكَثيفَةِ . »

وَقَفَ جاوين وَرَفَعَ رُمْحَهُ مُوَدِّعًا . فَقالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : « لِيَكُنِ ٱللهُ مَعَكَ . »



كانَ ٱلدَّرْبُ شَمالاً عَلى ٱلطَّريقِ ٱلرّومانيِّ ٱلقَديمِ ٱلْمُسْتَقيمِ يَمُرُّ عَبْرَ قُرًى آمِنَةٍ وَمَزارِعَ غَنِيَّةٍ. وَلٰكِنْ تَدْريجًا ٱخْتَفَتْ مَظاهِرُ ٱلْمَدَنِيَّةِ وَحَلَّتْ مَحَلَّها أَراضٍ بَرِّيَّةٌ. وَكانَتِ ٱلطَّريقُ قَدْ بَدَأَتْ تَخْتَفي تَحْتَ ٱلأَعْشابِ ٱلَّتي حَماها عَدَمُ ٱلاسْتِعْمالِ، ثُمَّ زالَتْ زَوالاً تامًّا. وَوَصَلَ جاوين أَخيرًا إِلى نَهْرٍ عَريضٍ فَوَقَفَ يَتَأَمَّلُ ٱلضِّفَّةَ ٱلأُخْرى حَيْثُ نَمَتْ أَشْجارٌ قاتِمَةٌ ضَخْمَةٌ عِنْدَ حُدودِ ٱلْمِياهِ. أَحَسَّ بِرَعْشَةٍ خَفيفَةٍ فَأَحْكَمَ رِداءَهُ حَوْلَ جَسَدِهِ، وَقَدْ بَدَتْ أَمامَهُ ٱلغابَةُ ٱلشَّمالِيَّةُ ٱلشّاسِعَةُ ٱلَّتي تَمْتَدُّ حَتَّى ٱلسُّورِ ٱلعَظيمِ ٱلَّذي بَناهُ ٱلإِمْبَراطورُ ٱلرّومانيُّ هادْرِيان ٱتِّقاءً بِهَجَماتِ ٱلْمُهاجِمينَ.



وَرَأى جاوين إِلى يَمينِهِ، مَعَ ٱتِّجاهِ ٱلنَّهْرِ، جِسْرًا حَجَرِيًّا رومانِيًّا. فَٱتَّجَهَ إِلَيْهِ وَرَآهُ صالِحًا لِلْعُبورِ بِرُغْمِ تَداعيهِ في مَواضِعَ عِدَّةٍ. فَمَرَّ فَوْقَهُ في حَذَرٍ.

وَحينَ وَصَلَ ٱلغابَةَ ٱلكَئيبَةَ ٱلْمُعْتِمَةَ رَأى كوخًا ذا سَقْفٍ مِنَ ٱلقَشِّ مَخْفِيًّا بَيْنَ ٱلأَشْجارِ. فَقَرَعَ ٱلبابَ بِرُمْحِهِ.

فَتَحَتِ ٱلبابَ ٱمْرَأَةٌ عَجوزٌ وَقالَتْ: «لَيْسَ عِنْدي ما أُقَدِّمُ لَكَ غَيْرَ ٱلْمَأْوى، يا سَيِّدي. فَلَيْسَ عِنْدي طَعامٌ.»

فَأَجابَ جاوين: «أَيَّتُها ٱلْمَرْأَةُ ٱلفاضِلَةُ، لا أَبْغي في هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ إِلّا ٱلْمَأْوى. وَأَمّا في غَدٍ فَقَدْ أَحْتاجُ إِلى بَعْضِ ٱلْمَعْلوماتِ.»

نامَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ نَوْمًا عَميقًا فَوْقَ فِراشٍ مِنْ نَباتِ ٱلسَّرْخَسِ أَعَدَّتْهُ ٱلْمَرْأَةُ إِعْدادًا سَريعًا. وَأَفاقَ في ٱلصَّباحِ عَلى رائِحَةِ طَعامٍ شَهِيَّةٍ.

أَشارَتِ ٱلْمَرْأَةُ بِيَدِها إِلى أَشْجارِ ٱلغابَةِ وَقالَتْ: «لا يَجوزُ أَنْ يَدْخُلَ ٱلغابَةَ مَنْ كانَ مِثْلَكَ سَيِّدًا عَظيمًا وَهُوَ جائِعٌ. ٱسْتَيْقَظْتُ باكِرًا وَوَجَدْتُ أَرْنَبًا واقِعَةً في ٱلفَخِّ.»

تَناوَلَ جاوين زُبْدِيَّةَ ٱلطَّعامِ شاكِرًا ثُمَّ قالَ: «كَيْفَ عَرَفْتِ أَنَّني ذاهِبٌ إِلى ٱلغابَةِ؟»

فَأَجابَتِ ٱلْمَرْأَةُ : « ما مِنْ طَريقٍ أُخْرى غَيْرِها إِلّا العودَةَ مِن حَيْثُ أَتَيْتَ . »

شَرَعَ چاوين يَأْكُلُ صامِتًا دَقيقَةً أَوْ دَقيقَتَيْنِ ، وَٱلْمَرْأَةُ تُراقِبُهُ .
بَعْدَ ذٰلِكَ سَأَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ : « أَتَبْحَثُ عَنِ ٱلنّافورَةِ كَما فَعَلَ ٱلآخَرونَ ؟ »

فَرَدَّ چاوين بِحَماسَةٍ : « نَعَمْ . أَتَدُلّينَني عَلى ٱلطَّريقِ ؟ وَمَنْ هُمْ هٰؤُلاءِ ٱلآخَرونَ ٱلَّذينَ تَحَدَّثْتِ عَنْهُمْ ؟ هَلْ عادوا بِٱلْماءِ ؟ »

قالَتِ ٱلْمَرْأَةُ ضاحِكَةً : « أَسْئِلَتُكَ كَثيرَةٌ . نَعَمْ ، أَدُلُّكَ عَلى ٱلطَّريقِ ، وَنَعَمْ ، أَيْضًا ، جاءَ آخَرونَ طَلَبًا لِلْعَرْضِ نَفْسِهِ . نَفَرٌ مِنْهُمْ تابَعَ طَريقَهُ ، أَمّا ما وَجَدَهُ فَلا عِلْمَ لي بِهِ . »

فَسَأَلَ چاوين : « وَكَيْفَ يَكونُ ذٰلِكَ ؟ أَلَمْ يَسْلُكوا طَريقَ ٱلعَوْدَةِ نَفْسَها ؟ »

أَجابَتِ ٱلْمَرْأَةُ : « ما مِنْ طَريقٍ أُخْرى سِوى هٰذِهِ . فَٱلَّذينَ تابَعوا سَيْرَهُمْ إِمّا أَنَّهُمْ تاهوا في ٱلْغابَةِ ، وَهٰذا أَمْرٌ غَيْرُ مُسْتَغْرَبٍ ، أَوْ أَنَّ حُرّاسَ ٱلنّافورَةِ فَتَكوا بِهِمْ . » وَأَرْدَفَتْ تَقولُ بِتَجَهُّمٍ : « وَأَكْثَرُهُمْ ، عَلى ما بَدا لي ، يَسْتَحِقُّ هٰذا ٱلْمَصيرَ . »

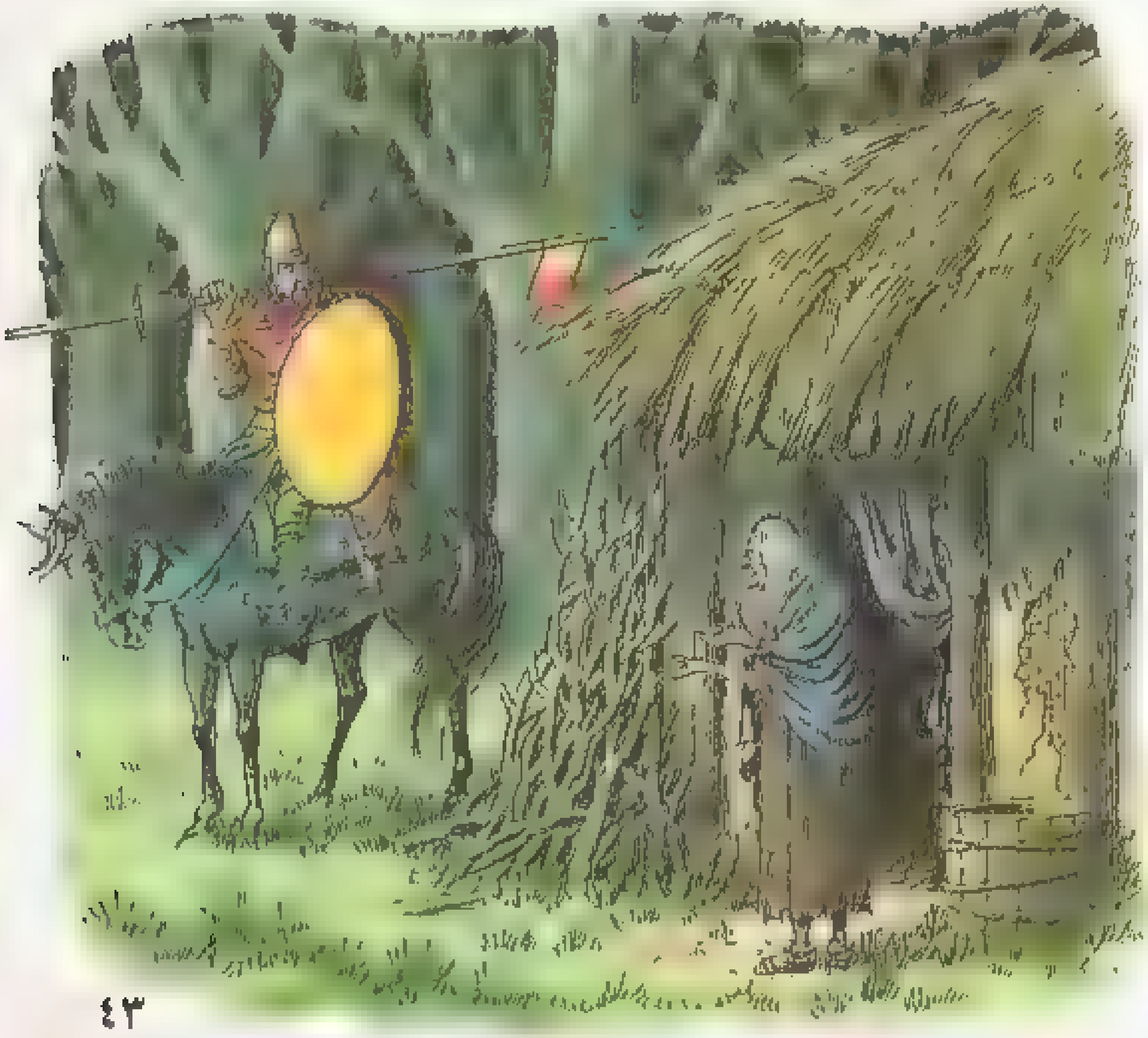
فَسَأَلَ چاوين : « خَبِّريني عَنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ عادوا مِنْ حَيْثُ أَتَوْا . »

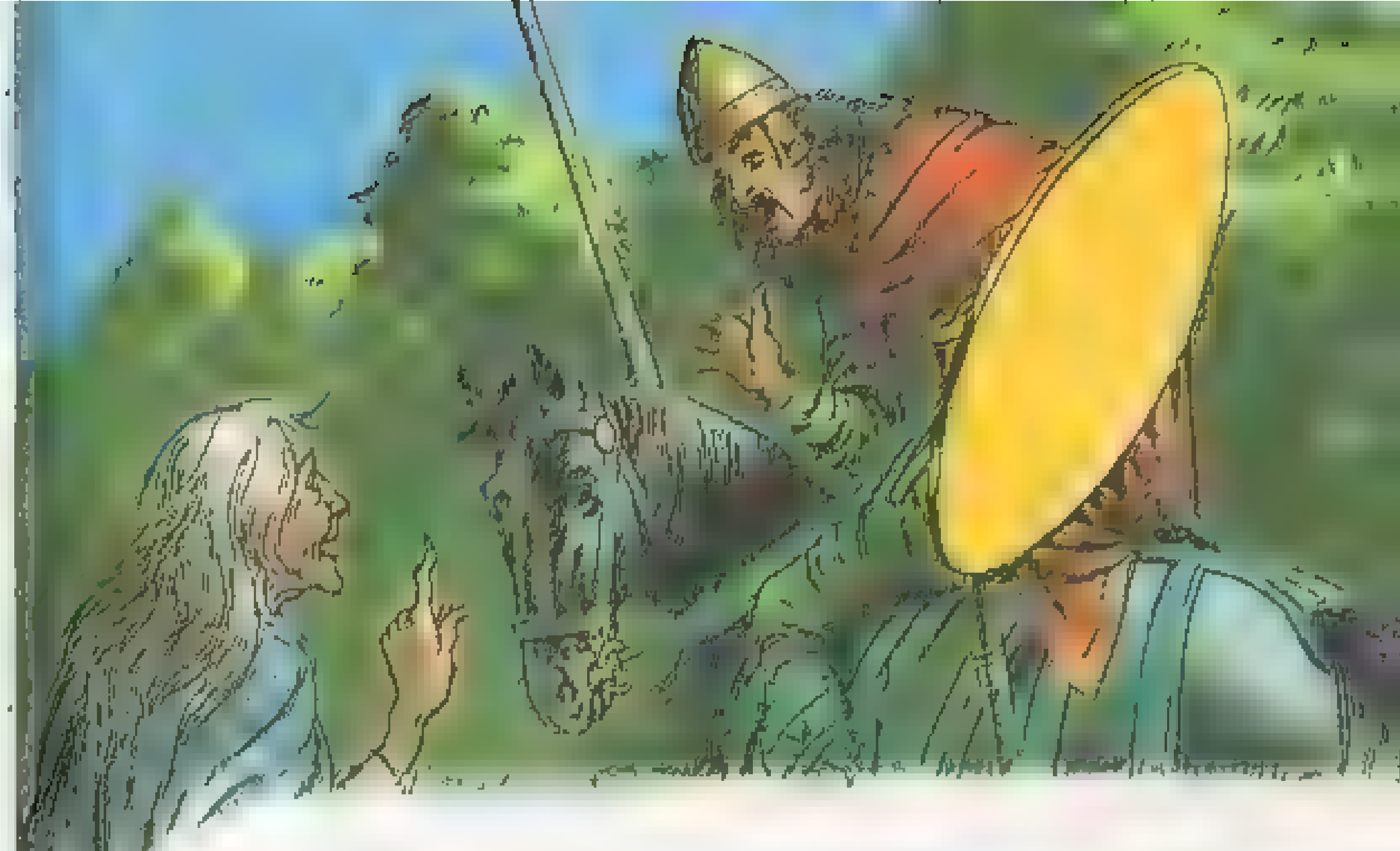
قالَتِ ٱلْمَرْأَةُ : « عادوا لِأَنَّهُمْ أَنْكَروا ٱلشَّرْطَ ٱلَّذي تَنْفَتِحُ بِتَحْقيقِهِ بَوّابَةُ ٱلْقَلْعَةِ . »

قالَ چاوين : « أَيُّ شَرْطٍ ؟ سَمِعْتُ بِٱلفارِسِ ٱلصِّنْديدِ

وَبِٱلقَزَمِ ٱلْمُحارِبِ ٱلشَّرِسِ ، وَلَسْتُ أَخافُ مِنْ هٰذَيْنِ ، وَلٰكِنّي لَمْ أَسْمَعْ بِٱلشَّرْطِ ٱلَّذي تَنْفَتِحُ مَعَهُ بَوّابَةُ ٱلْقَلْعَةِ . فَما هُوَ هٰذا ٱلشَّرْطُ ؟ »

عادَتِ ٱلْمَرْأَةُ إِلى ٱلضَّحِكِ قائِلَةً : « أُخْبِرُكَ ، إِذًا ، يا سَيِّدي . مالِكَةُ قَلْعَةِ ٱلْيَنْبوعِ سَيِّدَةٌ عَظيمَةٌ ، وَلٰكِنَّها أَسيرَةٌ في قَلْعَتِها ، يَحْتَجِزُها ٱلفارِسُ ٱلصِّنْديدُ وَعِفْريتُهُ ٱلْقَزَمُ ٱلشِّرّيرُ . وَٱلْقَلْعَةُ مُحَصَّنَةٌ تَحْصينًا قَوِيًّا لا يَقْدِرُ مَعَهُ عَلى ٱخْتِراقِها غَيْرُ جَيْشٍ . فَلا أَمَلَ لَكَ بِدُخولِها ، وَإِنْ أَنْتَ قَهَرْتَ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱلْمَذْكورَيْنِ ، إِلّا بِٱسْتِعْمالِ ٱلْمِفْتاحِ . »





فَسَأَلَ جاوين : « أَيْنَ هُوَ ٱلمِفْتاحُ ، إِذًا ؟ وَكَيْفَ أَحْصُلُ عَلَيْهِ ؟ »

فَرَدَّتِ ٱلعَجوزُ قائِلَةً : « يُقالُ إِنَّ ٱلمِفْتاحَ سَيُوهَبُ لِأَوَّلِ فارِسٍ يَقْهَرُ حارِسَيِ ٱلقَلْعَةِ وَيُقْسِمُ عَلى أَنْ يَتَزَوَّجَ ٱلسَّيِّدَةَ قَبْلَ أَنْ يَرى وَجْهَها . »

فَوَقَفَ جاوين وَقالَ : « أُقِرُّ أَنَّ هٰذا شَرْطٌ عَسيرٌ ، وَلا شَكَّ أَنَّ ٱلتَّعَهُّدَ بِمِثْلِ هٰذا ٱلقَسَمِ يَتَطَلَّبُ شَجاعَةً » ثُمَّ أَرْدَفَ ضاحِكًا : « وَلٰكِنْ لَمّا كُنْتُ أَنا نَفْسي عازِبًا ، وَبِما أَنَّ ٱلسَّيِّدَةَ ، لا شَكَّ ، شابَّةٌ وَجَميلَةٌ فَقَدْ لا يَكونُ ٱلتَّعَهُّدُ بِٱلصُّعوبَةِ ٱلَّتي تَتَخَيَّلُها . »

فَقالَتِ ٱلعَجوزُ : « لَيْتَ ٱلأَمْرَ كَذٰلِكَ يا سَيِّدي ، فَإِنَّهُ يُقالُ ، كَذٰلِكَ ، إِنَّها ساحِرَةٌ قَبيحَةٌ . »

فَصَرَخَ جاوين مُرْتَعِبًا : « ساحِرَةٌ ! أَعَلَيَّ أَنْ أَتَعَهَّدَ بِٱلزَّواجِ مِنْ ساحِرَةٍ ؟ »

فَأَجابَتِ ٱلعَجوزُ : « بِغَيْرِ هٰذا لَنْ تَصِلَ إِلى ٱلنّافورَةِ . وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ يَعودُ أَكْثَرُ ٱلباحِثينَ عَنِ ٱلماءِ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا . »

فَقالَ جاوين : « وَلٰكِنَّني ، مَعَ ذٰلِكَ ، سَأُتابِعُ طَريقي . فُروسِيَّتي ، وَأَنا واحِدٌ في رِفْقَةِ ٱلمائِدَةِ ٱلمُسْتَديرَةِ ، لا تَسْمَحُ لي بِأَنْ أَتْرُكَ سَيِّدَةً في ٱلأَسْرِ ، ما دامَ في مَقْدوري أَنْ أُخَلِّصَها مِنْهُ . وَفَوْقَ ذٰلِكَ فَإِنَّ مَلِكَتي مُعَرَّضَةٌ لِلْهَلاكِ ما لَمْ آتِها بِماءِ ٱلنّافورَةِ ٱلشّافي . »

نَطَقَ جاوين بِكَلِماتِهِ ٱلشُّجاعَةِ ، ثُمَّ حَمَلَ سِلاحَهُ وَمَضى . وَأَطْبَقَ عَلَيْهِ ظَلامُ ٱلغابَةِ أَوَّلَ دُخولِهِ فيها . وَلٰكِنَّهُ ٱتَّبَعَ ٱلمَسالِكَ ٱلضَّيِّقَةَ ٱلمُتَعَرِّجَةَ ٱلَّتي وَصَفَتْها لَهُ ٱلعَجوزُ .

وَتَبَيَّنَ لِجاوين عِنْدَ حُلولِ ٱلمَساءِ أَنَّ ٱلمَسْلَكَ ٱلضَّيِّقَ ٱلَّذي وَصَلَ إِلَيْهِ مَحْصورٌ بَيْنَ مُرْتَفَعَيْنِ مُنْحَدِرَيْنِ . وَبَيْنَما هُوَ في ذٰلِكَ ٱلمَمَرِّ ٱلضَّيِّقِ ٱلعاثِرِ وَقَعَتْ عَلى خوذَتِهِ ، فَجْأَةً ، ضَرْبَةٌ هائِلَةٌ كادَتْ أَنْ تَرْمِيَهُ عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ . تَلَفَّتَ حَوْلَهُ مُتَرَنِّحًا فَرَأى فَوْقَهُ عَلى ٱلمُنْحَدَرِ قَزَمًا شَرِسَ ٱلهَيْئَةِ يَرْفَعُ هِراوَةً مِنَ ٱلسِّنْديانِ . وَٱنْدَفَعَ جاوين بِرُمْحِهِ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلقَزَمَ أَمْسَكَ بِٱلرُّمْحِ مِنْ تَحْتِ ٱلسِّنانِ بِقُوَّةٍ عَظيمَةٍ عَجَزَ مَعَها ٱلفارِسُ عَنْ تَخْليصِ سِلاحِهِ . وَكانَ ٱلقَزَمُ في هٰذِهِ ٱلأَثْناءِ يَضْرِبُ بِهِراوَتِهِ ضَرَباتٍ قَوِيَّةً سَريعَةً أَطارَتِ ٱلدِّرْعَ مِنْ يَدِ جاوين .



هَزَّ چاوين فَرَسَهُ مُنْدَفِعًا بِهِ إلى ٱلأَمامِ ، فَهَوى ٱلقَزَمُ ٱلَّذي كانَ لا يَزالُ مُمْسِكًا بِٱلرُّمْحِ ، وَتَدَحْرَجَ مَعَ ٱلْمُنْحَدَرِ. وَأَفْلَتَ چاوين رُمْحَهُ وَٱسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ بِهِ خَصْمَهُ فَصَرَعَهُ. ثُمَّ ٱلْتَقَطَ رُمْحَهُ وَدِرْعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ ، وَٱسْتَراحَ عَلى ظَهْرِ فَرَسِهِ يَسْتَعيدُ قِواهُ .

سَمِعَ چاوين صَيْحَةً وَقَعْقَعَةَ سِلاحٍ ، فَٱلْتَفَتَ فَإِذا بِهِ يَرى أَمامَهُ في ٱلْمَمَرِّ فارِسًا ذا بِزَّةِ زَرَدٍ سَوْداءَ . فَسَدَّدَ چاوين رُمْحَهُ في ٱلحالِ ، وَٱنْقَضَّ عَلَيْهِ . فَٱسْتَدارَ ٱلفارِسُ ٱلأَسْوَدُ بِجَوادِهِ وَفَرَّ ،

دونَ قِتالٍ ، بِأَقْصى سُرْعَةٍ . فاجَأَ هٰذا ٱلتَّصَرُّفُ ٱلغَريبُ چاوين فَطارَدَ خَصْمَهُ وَرَآهُ يَدْخُلُ ٱلقَلْعَةَ ، وَرَأى ٱلبَوّابَةَ تُوصَدُ خَلْفَهُ .

وَراحَ چاوين يَدورُ حَوْلَ أَسْوارِ ٱلقَلْعَةِ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ ٱلغَضَبُ لِأَنَّ جُبْنَ ٱلفارِسِ ٱلأَسْوَدِ حَرَمَهُ فُرْصَةَ ٱلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ ما يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ عَلى ٱلمِفْتاحِ . وَبَيْنَما هُوَ كَذٰلِكَ سَمِعَ صَوْتًا رَقيقًا يُخاطِبُهُ مِن شُبّاكٍ عالٍ وَيَسْأَلُهُ عَمَّنْ يَكونُ .

فَأَجابَ : « أنا السّير چاوين ، أَحَدُ فُرْسانِ ٱلمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ ، وَقَدْ جِئْتُ آخُذُ لِمَليكَتي ماءَ ٱلنّافورَةِ ٱلشّافي . »

فَقالَ ٱلصَّوْتُ : « وَلٰكِنْ ، أَيُّها السّير چاوين ، هَلْ تَعْرِفُ ما يَنْبَغي عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ ، وَأَنْ تَعِدَ بِهِ ، قَبْلَ أَنْ تَنالَ مُرادَكَ ؟ »

فَرَدَّ چاوين قائِلًا : « أَعْرِفُ ٱلشُّروطَ يا سَيِّدَتي . وَلَقَدْ هَزَمْتُ ٱلقَزَمَ ، أَمّا سَجّانُكِ فَقَدْ فَرَّ مِنْ أَمامي ، وَيُسْعِدُني أَنْ أُقاتِلَهُ إِذا تَجَرَّأَ عَلى مُواجَهَتي . أَمّا ٱلشَّرْطُ ٱلأَخيرُ فَصَحيحٌ أَنَّهُ يَصْعُبُ عَلى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَتَزَوَّجَ ٱمْرَأَةً لَمْ يَرَها مَرَّةً في حَياتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ أَيًّا مِنْ فُرْسانِ ٱلمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ لَنْ يَسْمَحَ بِتَرْكِ سَيِّدَةٍ في ٱلأَسْرِ . فَلِذا أُقْسِمُ بِشَرَفِ فُروسِيَّتي أَنَّني عِنْدَما أَهْزِمُ ٱلفارِسَ ٱلجَبانَ سَأَتَزَوَّجُكِ . »

فَجاءَ ٱلجوابُ مِنَ ٱلشُّبّاكِ ٱلعالي غَريبًا : « إِنَّهُ لَيْسَ جَبانًا ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ لِلْقِتالِ مِنْ مُبَرِّرٍ ، يا چاوين فارِس ٱلمائِدَةِ ٱلْمُسْتَديرَةِ . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدَةُ ذٰلِكَ وَرَمَتْ مِنْ شُبّاكِها مِفْتاحًا حَديدِيًّا ضَخْمًا . فَتَرَجَّلَ چاوين عَنْ ظَهْرِ فَرَسِهِ ، وَفَتَحَ ٱلبَوّابَةَ ٱلكَبيرَةَ ، وَقادَ ٱلفَرَسَ إِلى ساحَةِ ٱلقَلْعَةِ . وما إِنْ رَأى ٱلفارِسَ ٱلَّذي طارَدَهُ واقِفًا عِنْدَ نافورَةٍ تَفيضُ بِرَشاشِ ٱلماءِ ، حَتّى أَسْرَعَتْ يَدُهُ إِلى مَقْبِضِ سَيْفِهِ يُريدُ أَنْ يَسْتَلَّهُ . فَرَفَعَ ٱلفارِسُ يَدَهُ مُحَيِّيًا ، وَقالَ :



« لا حاجَةَ بِنا إِلى ٱلسُّيوفِ يا چاوين ٱلشَّهْمُ ، فَلَيْسَ بَيْنَنا خِلافٌ . »

فَرَدَّ چاوين بِلَهْجَةٍ صارِمَةٍ قائِلًا : « أَطْلِقْ أَسيرَتَكَ ، إِذًا . »

فَأَجابَ ٱلفارِسُ : « إِنَّها لَيْسَتْ أَسيرَتي . فَأَنا السّير كونان وَٱلسَّيِّدَةُ أُخْتي ٱلحَبيبَةُ إِليناد . تَعالَ قابِلْها ، فَلَعَلَّكَ حينَ تَراها وَتَتَحَدَّثُ إِلَيْها تُدْرِكُ أُمورًا كَثيرَةً . »

وَٱصْطَحَبَهُ ٱلفارِسُ إِلى غُرْفَةٍ رَأى چاوين داخِلَها أَجْمَلَ ٱمْرَأَةٍ وَقَعَتْ عَلَيْها عَيْناهُ .

أَذْهَلَتِ ٱلْمُفاجَأَةُ چاوين فَشَهَقَ ، في حِينَ ضَحِكَتْ إِليناد ضِحْكَةً رَقيقَةً عَذْبَةً وَقالَتْ :

« لَسْتُ ساحِرَةً قَبيحَةً أَيُّها ٱلسَّيِّدُ چاوين ، وإِنَّما أَنا شابَّةٌ لَمْ تَشَأْ أَنْ تَتَزَوَّجَ واحِدًا مِنَ ٱلْمُغامِرينَ ٱلْمُزَيَّفينَ ، مِمَّنْ لا يَطْمَعُ إِلَّا في أَمْلاكِها وَقَلْعَتِها وَنافورَتِها ٱلشّافِيَةِ . »

وَقالَ السِّير كونان : « كُنّا نَنْشُدُ فارِسًا حَقًّا شُجاعًا شَهْمًا . وَإِنَّنا ، أَنا وَأُخْتي ، إِذْ قَدْ وَجَدْنا مِثْلَ هذا ٱلْفارِسِ ، مُتَّفِقانِ عَلى أَنْ نُحِلَّهُ مِنَ ٱلْعَهْدِ ٱلَّذي قَطَعَهُ عَلى نَفْسِهِ . فَأَنْتَ حُرٌّ ، يا سَيِّدي ، في أَنْ تَرْحَلَ حامِلًا مَعَكَ ما تَشاءُ مِنْ ماءِ ٱلنّافورَةِ ٱلشّافي . »

فَرَكَعَ چاوين أَمامَ إِليناد وَقالَ لَها : « أَتَوَسَّلُ إِلَيْكِ ، يا سَيِّدَتي ٱلْجَميلَةَ ، أَنْ تُلْزِميني بِما قَطَعْتُهُ مِنْ عَهْدٍ ، فَإِنّي ، وَقَدْ رَأَيْتُكِ ، عاجِزٌ عَنْ حُبِّ ٱمْرَأَةٍ سِواكِ . »

وَفي ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي ٱرْتَحَلَ ٱلْمُحِبّانِ قاصِدَيْنِ كامِلوت . وَشَفَتِ ٱلْمِياهُ ٱلَّتي حَمَلاها مَعَهُما ٱلْمَلِكَةَ شِفاءً سَريعًا ، فَشَهِدَتْ عُرْسَ ٱلشّابَّةِ ٱلْجَميلَةِ إِليناد وَچاوين فارِسِ ٱلنّافورَةِ .







سلسلة «حكايات وأساطير»

١ – علي بابا والأربعون لِصًّا
٢ – علاءُ الدّين والمِصباحُ السِّحريُّ
٣ – رِحلاتُ جَلِفَر
٤ – حكاياتُ إيسوب (الكتابُ الأوّلُ)
٥ – حكاياتُ إيسوب (الكتابُ الثّاني)
٦ – أساطيرُ مَشْهورةٌ (الكتابُ الأوّلُ)
٧ – أساطيرُ مَشْهورةٌ (الكتابُ الثّاني)
٨ – سِرُّ المَلِكِ
٩ – مغامراتُ الفارسِ المجهولِ
١٠ – لانسِلُت البُحَيرِيّ
١١ – فارسُ الصَّقرِ الذَّهبيّ

Series 740 Arabic